

مجلة إسلامية

تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر

الجماعة

العدد الخامس

شهر ربيع الأول و ربيع الثاني

1400 هـ

المدير المسؤول: عبد السلام ياسين

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

فقه التجديد

عبد السلام ياسين

إخوتي الإسلاميين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أرجو أن تمنعوا النظر في هذه الصفحات.

تجديد الإسلام

أخرج الطبراني بسند حسن وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الإيمان ليخلق (أي يبلى) في جوف أحدكم كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم».

وروى الإمام أحمد بسند أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «جددوا إيمانكم»، قيل: «يا رسول الله! كيف نجدد إيماننا؟» قال: «أكثرُوا من قول لا إله إلا الله».

هذا وصف دقيق لما يعترى الإيمان من ضعف والقلوب من تنكر لقيمه، ثم وصف لما يتجدد به الإيمان من علاج يتحدد في الذكر، في قول لا إله إلا الله، لاحظ أنه قول قبل كل شيء، أي أن كلمة التوحيد الشريفة دواء للقلوب، وترديدها علاج ناجع لشفاء القلوب وتجديد الإيمان بها.

والحديث المشهور الصحيح في تجديد الدين هو قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها». رواه أحمد وأبو داود والحاكم والبيهقي والهروى في «ذم الكلام» فتجديد أمر الدين، وأهم أموره تجديد الإيمان في القلوب، لا بد أن يجمع شرطين:

1. هذا الـ«من» الذي في الحديث، أي العامل البشري أي رجال الدعوة، أي طليعة الجهاد، أي أنتم يا أحبتي الإسلاميين على منابركم تقولون كلمة الحق وتدعون للحق وتبشرون بالحق، أو في سائر أوقاتكم تصبرون على أداء رسالتكم تؤلفون القلوب وتشعون الرحمة بين المؤمنين.

هذا العامل البشري قد يكون متمثلاً في شخص، في عالم عامل بارز يشق الطريق ويجمع الجماعة، وقد كان سلفنا رضي الله عنهم يبحثون في كل قرن عن مثل هذا العالم البارز ليعلموا من جدد أمر الدين في عصره.

حبانا الله في هذا القرن الرابع عشر المنتهى برجال هم فرطنا على الطريق من أمثال الشيخ البنا والشيخ المودودي والشيخ سعيد النورسي والشيخ محمد إلياس والشهيد سيد قطب وغيرهم كثير والحمد لله.

فليس المهم أن نقارن ونفاضل في من سبقنا بإيمان وجهاد، المهم أن ننظر لأنفسنا ونعلم ما هي مهمتنا، وماذا ينتظر منا، وقد مهد لنا أولئك الأعلام رحمهم الله طريق الدعوة المجددة، المهم أن تنبعث منا همم

لتكوين هذا العامل البشري المجدد وتقويته وتنظيم جماعة المسلمين الموعودة بالخلافة في الأرض.

2. حديث بلى الإيمان في القلوب، وحديث العلاج الناجع لتجديده يضعاننا أمام المهمة الأولى والمؤهل الأول للعامل البشري المجدد.

جماعة المسلمين لا وجود لها على وجه الأرض، ذلك أن دار الإسلام قسمتها الفتن التاريخية دويلات تفصل بينها حدود لا يعترف بها الإسلاميون، لكنها واقع صلب ماثل في حياة المسلمين مهيمنة بما تخيله الأوهام الانفعالية المسماة قومية على حاضرنا ومستقبلنا.

الطبقة السياسية الحاكمة في بلاد الإسلام، حاشا إيران المتجددة، طبقة عينت نفسها وصية على المسلمين، وتحكمت بمقاليد أمورهم تسيطر بغير رضاهم وتحكمهم بحكم الطاغوت.

وجماعات الدعوة إزاء كل هذا قلوبها متفرقة وآراؤهم غير متناسقة ومهمتها غير واضحة أمامها، كل جماعة دعوة تزعم أنها وحدها على الحق وإنها وحدها تمثل «جماعة المسلمين»، فتنظم تبعاً لذلك كيانا تربطه بيعة ما حضرها ولا علمها سائر أخوتهم، فينتج التطرف والعنف وتفرقة الصف المتمزق المؤمن.

مهمتنا إذن يا إخوتي هي أن نفقه أن التجديد القائم بلسان السنة الشريفة على ركنين ثم بعد الفقه أن نتجند لتوحيد العامل البشري المجدد، هذا «من» المذكور في الحديث ثم نشر الإيمان وبثه وتجديده من انكماش وغياب وبلى.

القلوب فيها تمرغ وكدر فهي بحاجة لصفاء يجمع، بحاجة لرفق

يؤلف، بحاجة لأخوة تكتشف شروطها ولوازمها ومقتضياتها ونتائجها المحتملة.

في بلاد الإسلام جماعات دعوة، بعضها بلغت شأوا كبيرا في الميدان، وقطعت أشواطاً مهمة في تأليف نواة جماعة المسلمين بالقومة المتأججة حماساً في إيران وبالعمل الدؤوب الصابر في باكستان مثلاً.

الهدف في التأليف هو قيام «جماعة المسلمين» القطرية، والغاية توحيد المسلمين على الأرض وإقامة «جماعة المسلمين» حقاً. مرحلتان نركز على أولاهما.

ها نحن أولاء في المغرب مثلاً لنا جماعات، فماذا تريد هذه الجماعات؟ ماذا تنوي أن تفعل؟ بأي ذهنية تواجه الواقع السياسي؟ في أي برنامج تفكر لإعادة البناء الجذري في ميادين التعليم والاقتصاد والاجتماع؟

قد يكون لكل جماعة من جماعات الدعوة إرادة ونية وذهنية ما وموقف وبرامج.

لكن أهم مهماتها جميعاً أن تسعى لتكوين «جماعة المسلمين» القطرية، وهذا يقتضي علماً وعملاً، فقهاً وجهاداً.

وأهم مهمات كل مؤمن داخل هذه الجماعات أو خارجها أن يسعى بكل جهده ليؤلف القلوب فهذا أول الفقه وأول الجهاد.

في المغرب يطرح علينا الصديق والمتربص بلسان المقال أو بلسان الحال هذه الأسئلة: ماذا تريدون؟ وما برنامجكم وأنتم تتحدثون عن إنشاء حزب إسلامي وعمل إسلامي في إطار ديموقراطيتنا؟ ثم من أنتم قبل كل شيء؟

الصديق المتعاطف والمتربص الكائد والعدو السافر، بل -وا أسفاه!-
حتى المؤمن الملتزم لا يرون إلا ثياب الفرقة ورموز الخلل المذهبي: هذا سلفي
وهذا صوفي وهذا إخواني وأولئك تبليغيون.

ويشاء الله عز وجل أن يتلي المؤمنين، فيجمع شمل جسمهم السجن
ليكتشفوا جميعاً أنهم حزب الله الذي ما ينبغي له أن يتجزأ ويتفرق.

من إختوتنا الإسلاميين من يطرح مشكل التوحيد طرحاً سطحياً ومبسوطاً
تبسيطاً يفوت معه العلم وتفوت معه الحكمة والفقهاء عندما يقول «الكتاب
والسنة جامعان» هذه كلمة العقل، وهذا موقف العقل أمام النقل موقف
التأمل الخارجي أو المبرر لنيات الله يعلمها، ذلك أن من إختوتنا من يقول هذه
المقالة ليتهم كل من ليس من مدرسته وتجمعه بالخروج عن الكتاب والسنة،
ويطرحه بعد في قفص الاتهام حيث يضع الكافرين والمنافقين.

الكتاب والسنة جامعان، لكن بأي فهم، بأي فقه، وقبل كل شيء بأية
إرادة؟.

أبفهمك أنت الذي ترفض مسبقاً الجلوس إلى إختوتك ممن خالفك في
المذهبية أو اللامذهبية أم بفهم من يبكي على الأخوة الضائعة ويتطلع فكره
لفهم الإسلام وتاريخ الخلاف ووباء الخلاف وضرورة توحيد الصف؟

أبفقهك أنت الذي تحسب أنك جمعت العلم من أطرافه، واختصت
بالهداية من دون الناس أم بفقهاء هادئ لا سلطان الهوى عليه، نير بتلقيه عن الله
ورسوله الأمر الصارم الواضح الحاسم الموجه للمؤمنين جميعاً أنهم إخوة وأن
للأخوة شروطاً وأن لا إيمان ولا جنة إلا إذا أحب المؤمن إخوته؟

أبإرادتك أنت الذي وضعت قدمك في ساحة الجهاد، فإذا بخطوتك تتحول مع مقتضيات مهمتك وعلى ضوء فقهمك وفي حدود فهمك خطوة نحو الرئاسة فلفقت التهم للناس، وتنكرت لمن لا يخضع لسלטتك ومن لا يعترف بهيمتك ولا يتبع أسلوبك، أم بإرادة من يفهم أن المهمة عظيمة هي تجديد الإسلام وإقامة دولة الإسلام في الأرض، وأن إقامتها ينبغي توحيد الجهد وأن الله لا يرضى إلا عمن يجمع ولا يفرق، عمن يأسو ولا يجرح، عمن يكرس وقته وماله وحياته ليؤلف قلوب المؤمنين ويشيع بينهم الرحمة والمحبة حتى ينشأ بفضل جهاده ذلك الجسم العضوي المتكامل: «المؤمن للمومن كالبنين» «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد»؟.

من يجدد وكيف يجدد؟

من هو العامل البشري الذي ينبعث في أحشاء هذا المجتمع الإسلامي المفتون ليوقظ النائم ويجدد الخلق ويحيى الميت ويبجج الأوهام المفرقة.

ثم ما هو العلاج الأساسي وكيف استعماله؟

هذان هما السؤالان الأساسيان، وعليهما يدور فقه التجديد.

العناصر البشرية المتاحة من القابعين في الإسلام الفردي المنزوي عن الساحة. ومن المؤهلين بالعلم القاعدين عن العمل الكسيحي الإرادة، ومن المترددين حتى المتردين سرا وجهرا لا بد لها من قيادة تتحمل مسؤولية المستقبل.

المجتمعات الإسلامية المفتونة ضحية المتعسف والأنانيات الطبقية والذهنيات المتخلفة التلميذة للجاهلية والعادات النكراء والبدع

الضالة. لا بد من قيادة لتحليل وفقه الواقع، ثم تهييء المنهاج المجدد وتطبيقه برنامجا ماضيا يجتث الباطل من فوق الأرض ليستقر أمر الأمة من اضطراب، ويتحرر من استعباد ويستقل من تبعية على هدى الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

هذه القيادة التي يجب أن تستعد لتحمل مسؤولية المستقبل وتطبيق المنهاج الإسلامي في الأرض هي «جماعة المسلمين». وواجب كل مؤمن أن يركز الجهد لتكوين نواتها في كل قطر. هذا هو الواجب الأول.

مع توضيح المنهاج الإسلامي ونشره والتبشير به لا بد من جمع العناصر المؤمنة.

يفوت إخواننا الإسلاميين أن العلم الإسلامي والثقافة الإسلامية عامل مشئت إذا كانت القراءة العابرة الكثيرة إلى درجة الاكتظاظ لا ترجع بالمؤمن إلى تصحيح موقفه أمام الله تعالى، أمام أوامره ونواهيه، أمام هدي الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وأوامره ونواهيه. وأول هذه الأوامر الجمع، ومن لا يجمع ولا يسعى لجمع فهو مهدد بالميتة الجاهلية.

يقول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: 10) ويقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ (التوبة 71).

وإنما حرف حصر لا وجود لما تجده وتعرفه خارج ما تحصره. وهو هنا الأخوة بين المؤمنين.

والولاية بين المؤمنين تعني التحاب والتناصر والاشترك في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود عن أبي ذر رضي الله عنه: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه».

نعوذ بالله ! لكن أين جماعة المسلمين التي مكان التحصن في حصن الله؟
أين حزب الله الذي قال فيه الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ
أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة: 22) ؟

حزب الله، جماعة المسلمين، وحدة، هي الوحدة الأساسية، هي حصن
الله، هي الصف الذي يضمن لي الانضمام إليه الأمن من عقاب الله، ويضمن لي
الأمن الأخوي ويضمن لي النصر، حزب الله هم أهل لا إله إلا الله، الناطقون
بها العاملون بمقتضاها كتابا وسنة وتوحيدا، ومحبة وحاكمية.

العامل البشري، أي جماعة المسلمين، ثم كلمة التوحيد - وعاكس إن
شئت - هما ركنا التجديد وبابا حصن الله.

أخرج ابن النجار عن علي كرم الله وجهه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال فيما يبلغه عن ربه: «لا إله إلا الله كلامي وأنا هو، فمن قالها دخل حصني
وأمن عقابي».

ما بال جماعات الدعوة إذن لا تلتقي على كلمة التوحيد؟ ثم ما بال أحدنا
يدعي الإيمان، وهو يخل بشروطه الواضحة الصارمة النيرة في الكتاب والسنة؟
ألا وهي الأخوة بين المؤمنين ولزوم جماعتهم؟

إنه الإيمان الخلق البالي الذي سيطر الهوى معه على قلوب كدرة ممرغة، ألا وإن العلاج الأساسي هو ذكر الله، هو قول لا إله إلا الله.

وسنرجع في افتتاحيتنا المقبلة بحول الله للموضوع طويلا لتتعلم من يجدد وكيف يجدد الإسلام. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته إفشاء السلام استمطار لرحمة الرحيم الرحمن.

إذا كان العنف على المسلمين لا يقره الشرع أصلا وإطلاقا، فكيف بهذا العنف في بيت الله الحرام!

إنه منذ الحجاج الذي رمى البيت بالمنجنيق، والقرامطة الذين استباحوا الحرم فيه ما سمع بمثل ما فعله هؤلاء الشباب الذين فقدوا وعيهم باسم الإسلام.

ما فعل بالدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ الصالح محمد بن عبد الوهاب؟

كان لقاء بين أمير شجاع ورجل صالح اتفقا على إقامة دين الله في الأرض، لكن الدعوة ما لبثت أن ضاعت معالمها في خضم أعمال الدولة وأركانها.

كان عبد العزيز بن سعود رحمة الله يمثل شوكة الإسلام أي قوة واقعية ذات اتجاه إيجابي لبناء الإسلام.

ثم خضدت السياسة ومقتضياتها هذه الشوكة، وخاب أمل رجال الدعوة وتحول البأس الذي به وطدت أركان الدولة إلى بأس يهدد النظام القائم.

إن مسألة المهدوية والمبايعة بين الركن والمقام ما هي - إن صحت - إلا حماقة مضافة إلى المشكل الأساسي، وهو أن معارضة إسلامية ما وجدت كيف تعبر عن نفسها إلا بوسائل العنف وبهذه الكيفية الشنيعة التي انتهكت فيها حرمة بيت الله.

المهم لا نقر العدوان على بيت الله ولا نرضى ولا كرامة !

كيف والله عز وجل يقول عن بيت الحرام: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (الحج: 25)؟! !

ما من بقعة على وجه الأرض يكون الخاطر والنية فيها إثماً إلا في ذلك البيت المعظم.

وكيف إذا تجاوز الأمر النية وأفضى إلى قتل المسلمين بغير حق !

لكن مهلاً حتى نعلم أصل هذا العنف المخرب والمسؤولين عنه !

يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ (البقرة 191).

الخطاب لجماعة المسلمين والأعداء هم المارقون عن الدين الخارجون عن الجماعة. هل كان هذا الشباب الطائش النزق الأرعن الذي فسق في بيت الله أشد الفسوق جماعة من الخوارج المارقين؟

عندما يثبت لنا أن ثم جماعة المسلمين أمرها بينها شورى، والحاكم قائم عليها برضاها يمضي فيها حكم الله، يصح وصف الفجرة في بيت الله بالخوارج والمارقين.

إن هذا الحدث الفظيع حرك أفئدة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فبعد الاستنكار العاطفي الذي نشارك فيه عموم الأمة لابد لنا أن نستخلص الدرس منه ونضع الأمور في نصابها.

السيف كان الآلة الأولى في إقامة الدولة السعودية، ورفض الشرك والبدع كان الفكرة الرئيسية في حركة ابن عبد الوهاب رحمه الله.

فماذا بقي من تعاون بين تلك الدولة وتلك الدعوة؟

الإلحاد والظلم هل نعزوهما اليوم للدولة أم للدعوة؟

من يصح له شرعا أن يقاتل من بتلك البقاع؟ باستثناء بيت الله الحرام الذي لا يحل فيه لأحد حتى خاطر العدوان.

إن الدولة ثم وسائر الدويلات المريضة ببلاد الإسلام أمينة على الأموال والحرم، فما بال هذه الأموال التي جعلها الله قياما للأمة تتسرب إلى جيوب سفهاء مخربين لا تكفي الكلمات لوصف فسقهم؟

منذ سنوات قليلة نشرت أدوات الإعلان الغربية أن جماعة من سفهاء البترول بذروا في ليلة واحدة على موائد القمار بمتكرل أربعائة مليون دولار!

مال يكفي لو دفع لحركة إسلامية كحركة أفغانستان التي تذبح بمراًى ومسمع منا أن يزودها بالسلح اللازم لاستمرار الجهاد.

مال لو وضع حيث أمر الله أن يوضع في عموم الأمة عبر الحدود الجائرة الظالمة لصان الأمة من الفقر والجهل والمرض وحماها من التبعية للجاهلية.

هذا المال المبذر في أيدي السفهاء، هو لعنة حلت بطبقة أثرة وبالأمة كلها من خلال تصرفاتها، والدولة مسؤولة عن تسرب الأموال وصرفها في غير مصارفها الشرعية.

المغرب مثلاً أصبح مفسقة بعد خراب بيروت، لعنة وفساد، نعوذ بالله!
!الدنيا ماخور للعربي المبذر الفاسق!

وما فظيعة انتهاك البيت الحرام إلا نتيجة لتلك اللعنة وابنة لها.

غضب الشباب وفقدوا الصواب. والمشكل مشكل قيادة ومنهاج من جانب رجال الدعوة، ومشكل عمل سياسي من جانب رجال الحكم.

إما أن يفسح الحكام للدعوة مجالاً لتعبر وتعمل، وإما يأتي الانفجار بشكل أقل أو أكثر فظاعة.

بطش عبد الناصر بالإخوان المسلمين لم يحل مشكلاً وإنما تسبب في تردية مصر في الهاوية التاريخية التي تهبط إليها على يد قيادة زنيمة ذليلة.

إيران طغى حاكمها وعنف حتى لا مجال للمزيد، وحتى أفاق الشعب كله بقيادة من هم أهل الثقة والصدق من علماء المسلمين. وكل نظام حكم لا يتعظ بتلك القومة مرشح عاجلاً أو آجلاً لنفس المصير الذي آل إليه أمر الشاه الذليل المسكع.

باكستان صبر فيها الإسلاميون، وقاسوا الشدائد وجاهدوا حتى أصبحوا الحكم الذي يستمع إليه بعد فشل النظم الجائرة الكافرة العنيفة المتعاقبة.

وها هو الإسلام يعبر عن نفسه بقوة في إيران وبعنف أليم في السعودية. والعالم من حولنا يحسب حساب الإسلام المنبعث، فنأمل ألا يكون حساب الحاكمين حساب قمع الدعوة وملاحقتها فقط، وإلا فهم يبحثون عن حتفهم بظلفهم.

ارجعوا إلى الله، خافوا الله، اخشوه وراقبوه يا حكام المسلمين ! اخشوا عقابه يوم لا تجزي نفس عن نفس شيئاً !

نقول هذا لمن لا تزال منهم في قلبه جذوة إيمان !

أما المنافقون والكافرون من الذين يعذبون المؤمنين بالذبح والتقتيل أو يهينونهم في السجون بالتنكيل فحسبهم أن يبقوا بلداً لا يستطيعون التعامل مع الإسلام الناهض إلا رداً عنيفاً دائماً.

في إيران حاكم المسلمون بقيادة الإمام الخميني واقع الإجرام التاريخي الفريد الذي أيدته أمريكا بمساندة الطاغوت المخلوع إلى حكم الله وقانونه. أمريكا والاستعمار الغربي والشرقي تواضعوا على نظام الحصانة الدبلوماسية وهو مبدأ إنساني ويتفق ومبادئ الإسلام، لكن القانون العام الذي بمقتضاه يتحكم الاستعمار الجاهلي فينا ويستنزف خيراتنا وقوانا قانون جائر. وما الحصانة الدبلوماسية إلا فصل صغير منه، ذلك إن لم تتحول السفارات، كما هو حال سفارة أمريكا في إيران عشا للمخابرات وتدبير الشر وتدعيم الظلم لا شأن لها إلا ذاك، ومن ثم لا حصانة تستحقها بأي ميزان من موازين الأخلاق ولا السياسية ولا الإنسانية.

قامت الآن الصحافة الحرة في الغرب وفي أمريكا بالذات بفتح ملف الشاه الممقوت وشرعت، في محاكمته وإدائته. وكأنها تقارن بين مساندة

أمريكا شاهها بالمال والخبرة البوليسية والعسكرية وبالسلاح في حربته الإبادية لشعبه وبين الاحتجاج الذي شخسه الطلبة المسلمون بحجز الرهائن، وكأنها وجدت أن جرائم الشاه، وهي جرائم أمريكا والصهيونية، لا يكاد حجز الرهائن يكون شيئاً مذكوراً أمامها.

في إيران قومة إسلامية تعاني من تحركات غير منضبطة من دواعيها الألم الممض الناتج عن أعمال الشاه الدموية وعن سرقاته وعتو أسرته، ومن دواعيها القومية الرابضة التي يوقظها لمصالحهم عملاء الشرق والغرب.

أما في السعودية فهي ثورة عنيفة ركب الغضب الأرعن فيها قلوباً ممرغة وعقولاً فجة.

وللحكام في بلاد المسلمين الخيار بين التهادي في التعسف إلى غاية الثورة العنيفة أو القومة الإسلامية وبين التوبة على نموذج عمر بن عبد العزيز. وهيهات!

كفى بجريمة الاعتداء على البيت الحرام نذيراً لرجال الدعوة والدولة!

العقل والنقل والإرادة

- 2 -

لكي لا نخرج من دين الله

رأينا كيف قام العلماء على مر القرون في وجه الظلم والطغيان والأئمة الأربعة السنيون سواء في ذلك مع أئمة آل البيت.

الحسين السبط رضي الله عنه وأرضاه كان النموذج الحي وبعد تأصل أصل أخذ به أبو حنيفة ومالك والشافعي كما رأينا، وقعد لذلك الأصل الإمام أحمد كما رأينا. هذا الأصل هو وجوب نصر القائم المجاهد على أهل الظلم.

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من أرضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله» أخرجه الطبراني في الكبير.

الإمام الحسين رضي الله عنه واجه سلطانا سفيها بادي السفه حتى أن من كان يشك في صلاحه لا يتعدى الشك اليقين بضلاله وفساده وكفره يوم حمل إليه رأس الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثاني سيدي شباب أهل الجنة بعد أمير المؤمنين الحسن رضي الله عنهما. حمل الرأس الكريم للسلطان الفاسق فنكث في أسنانه بالعود ينشد أشعار التشفي، وسيق آل البيت من حرم البيت الشريف وزين العابدين معهم إلى دمشق، وهتكت المروءة وهي أدنى درجات الشعور الإنساني.

خطب إمام الشهداء الناس في قومته، قال: «أيها الناس ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا رحم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسوله يعمل في عبادة الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غير. (بتشديد الياء).

إني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر. فمن قبلي بقبول الحق فالله أولى بالحق. ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين».

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلكة أمتي على يدي غلمة من قريش»، وكان أبو هريرة رضي الله عنه يتحاشا أن يتكلم بهذا يخاف أن يقطعوا منه البلعوم. وهو العلم الذي أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتفظ به لنفسه كما جاء في البخاري. بيد أن الصحابي الجليل بلغ حديث الغلمة، وهم صبيان بني أمية من أمثال يزيد، قال مروان لأبي هريرة، في رواية البخاري (كتاب الفتن): «لعنة الله عليهم غلمة!» فقال أبو هريرة: «لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلا لفعلت!» فكانت أخرج (يقول عمرو وهو راوي الحديث عن جده): فكانت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشام، فإذا رأيهم غلمانا أحداثا قال لنا: «عسى هؤلاء أن يكونوا منهم!» قلنا أنت أعلم!».

لزم الأغيلمة طاعة الشيطان، وقام إمام الشهداء يسعى لتوطيد طاعة الرحمن والقضاء على الفساد والإلحاد.

وهكذا قام من بعده محمد النفس الزكية وإبراهيم عليهما السلام، وما كان أغيلمة بني العباس أحسن من أسلافهم من بني أمية، حاشا الصالحين من ملوك الدولتين ممن حولوها خلافة كسيدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أو قاربوا، نذكر موتانا بخير فنقول عن الأمة الخالية: «منهم الصالحون ومنهم دون ذلك» ونترك الدون للدون، لكن دروس التاريخ لا بد من استظهارها، وإن من متانة هذا الدين وقوة دفاع الإسلام عن نفسه تماسكه أمام تخريب الشخصيات المدسوسة وظلم الحاكمين من أغيلمة الدولة، ثم هذا الزحف الخارجي التتري الصليبي والاستعماري بعد.

لا نحب أن نغذي أسباب الهيجان في النفوس ولا نرى أن أسلوب «الحسينيات» - أي حفلات الحزن والذكرى - التي يشعف بها إخواننا الشيعة يفيد كثيرا ولا قليلا في تقريب الشقين العظيمين من الأمة، شق السنة وشق الشيعة.

لكن فحص التاريخ سبب رئيسي من أسباب تدهور المسلمين - ألا وهو طغيان أغيلمة الحكم في كل زمان - أمر ضروري.

متى كانت المشروعية التي تقام عليها الدولة هي مشروعية السيف فإن الباب مفتوح للأغيلمة، ومتى كان الحاكم متسلطا على الأمة جاثما على صدرها حاكما بأمره لا برضاها، سائرا في طريق الشيطان لا في طاعة الرحمن، فإن إسخاطه قربة والقيام في وجهه عبادة.

فساد أغيلمة ابن العباس لا يكاد تحمله الطروس، فبعد رجال أقوىاء صارمين أسسوا الدولة، وبعد ملوك كان صلاحهم يغلب على فسادهم نبع أجيال قل فيها الرجال وقل فيها الصالحون.

وكان الشيعة في مقدمة الساخطين القائمين، وحق لهم.

يصف المسعودي في كتاب «التنبيه والإشراف» بعض ملوك الانحلال، قال عن المعتمد:

«أهمل أمور رعيتة، وتشاغل بلهوه ولذاته حتى أشفى الملك على الذهاب».

وقال عن المعتز: «يؤثر اللذات ويعدم الرأي ... وغلب على أمره، وقهر في سلطانه».

وقال عن المقتدر: «أفضت الخلافة إليه وهو صغير غر ترف. لم يعان الأمور ولا وقف على أحوال الملك، فكان الأمراء والوزراء يدبرون الأمور، ليس له في ذلك حل ولا عقد، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة، وغلب على الأمر النساء والخدم وغيرهم، فذهب ما كان في خزائن الخلافة من الأموال والعدد بسوء التدبير الواقع في المملكة، فأداه ذلك إلى سفك دمه واضطربت الأمور بعده وزال كثير من رسوم الخلافة ... وكانت فيه وفي أيامه أمور لم يكن مثلها في الإسلام ... ومنها غلبة النساء على الملك والتدبير. حتى أن جارية لأمه تعرف ب«ثمل القهرمان» كانت تجلس للنظر في المظالم الخاصة والعامة ويحضرها الوزير والكاتب والقضاة وأهل العلم».

ما كان لأمر يفتح للأغيلة إلا أن ينتهي بانتصاب الجوارى والخاديات على تحت الحكم! وإن نظاما يجعل الوزير والكاتب والقضاة و«أهل العلم» عبيدا للجوارى والأغيلة لبئس النظام!

إنه متى كانت المشروعية للسيف فالعاقبة تدجين أنصاف الرجال بعد القضاء على الرجال، ثم إقامة نظام صنائع الأشخاص فيه مرتبطون برباط المصلحة التي يضمنها، والمبدأ النفعية والوصولية لا الحق، والوجهة الشيطان لا الرحمن.

هكذا كانت القصور التي منها يدبر أمر الدولة، أما رجال الدعوة من العلماء فطائفتان عظيمتان من المؤمنين: السنة من جهة والشيعة من جهة. هؤلاء يثورون ويقومون، طورا بالاضطراب العنيف وطورا بعدم الاستقرار الاجتماعي الديني، فساد القمة استعدى غليان القاعدة، وانعدام المشروعية في الحكم أثارت الفتن في القاعدة.

وكانت الفتن بين الشيعة والسنة مستمرة لا تنقطع، كانت العاطفة الدينية هي القوة المحركة، وكانت آنئذ متأججة عليها مدار السياسة والحكم ومدار الحرب والسلم، الصادقون من أهل الإسلام يعيشون خلافاتهم بعنف، والدولة والسلاطين الماسكون بزمامها يستغلون العاطفة المتأججة والخلاف في الاجتهاد استغلالا لخدمة المطامح وتبرير المواقف السياسية.

السيف والمصحف كانا في حوار غير متكافئ، أهل السيف كانوا أجناسا وألوانا من ترك وديلم وأعراب وعجم يجمعهم من ذلك الولاء للإسلام، وإن كان الولاء العرقي هو السدى في ذلك النسيج، نسيج العصبية، وأهل المصحف تفرقوا مذاهب ونحلات، في العقائد والفقهاء.

فعندما نتساءل أمام تاريخنا عن مصادر الفتنة وبواعثها، ينبغي أن لا تشغلنا حركة التاريخ وأشكاله وقياداته عن الحوافز من وراء تلك الاضطرابات التي خلفت لنا تراثا ممزقا ما نزال نعيش عليه خاصة في هذه الفرقة بين السنة والشيعة ثم بين الفقهاء والصوفية.

من المسؤول عن الخلاف والتمزق في تاريخنا الماضي والحاضر؟ إن المحللين الشيوعيين لا يملكون من بين أدواتهم الفكرية إلا تصورات الطبقة ومقولات الاقتصاد. وهي تصورات ومقولات غليظة إن نجح ماركس في تليفيها كتفسير للتاريخ الأوربي فإنها لا تكتسي الدقة واللطافة التي يمكن بها أن نفسر حركات القلوب المليئة بالإيمان أو بالتعصب المذهبي أو تتخذ العاطفة

الدينية «إيديولوجية» باعثة أو مبررة مادام المفكرون الشيوعيون لا يرون في الأديان إلا أفيون الشعوب - وهذا إنما ينطبق في حالة مثل حالة الكنيسة في تاريخهم أو في حالات جزئية أو فردية عندنا - فسيبقون عاجزين عن فهم وتفسير قومة الإسلام كما هي مشخصة في عصرنا بإيران.

لذا فالشخصيات المشعوذة باسم الدين كالمختار الثقافي، والشخصيات المخربة كبعد الله بن سبأ، والشخصيات المتطرفة والعنيفة باسم الدين هي المسؤولة أساسا عن تمزيق الإسلام وبعدها فقط علماء السوء من ديدان القراء.

إن بعض المفكرين الشيوعيين يجبون ألا يكون في تاريخ الإسلام إلا علماء أذلة يخدمون الحكم القائم والواقع المنتصر، هذا كائن، لكن صمت العلماء وتقية الشيعة لم يكونا عن رضى بالأمر الواقع، لكن دعما للاستقرار وهو في اجتهادهم الشرط للإصلاح أو تربصا للفرصة المناسبة.

الاقتصاد واهتماماته والطبقية التي يمثل لها الناظرون إلى تاريخ الإسلام من أبنائنا المرتدين بثورة الزنج كانا بعدين حقيقيين في تاريخنا. والطبقة الأثرة التي تسعى لجمع المال بالقوة وتسعى لمسك السلطة لتجمع المال وتصطنع الصنائع ليدعموها، واقع ملموس لا ينكر في تاريخ المجتمعات البشرية كلها. لكن تاريخ دين حي كالإسلام تختلط فيه الاعتبارات وتتداخل فيه البنيات المادية والمعنوية، بحيث لا يمكن فهمه بالمنهج المبسط المدرسي الشيوعي التاريخاني، ثم إن مكان هذه العاطفة الحية التي دفعت بعض الناس للغلو في الدين والزندقة والشعوذة ودفعت بعض العلماء لمسايرة السيف ريثما يقضون على الغلو والكفر، ودفعت غيابها عند قلة منهم لعبادة القوة القائمة بدون قيد ولا شرط إلا الحظوة والرئاسة والمال هي العامل الأساسي الذي سيطر على الإرادة وعلى العقل تحريفا للنقل أو دفاعا عن حوزة الصواب.

العقل والنقل والإرادة أشد ارتباطا بالإنسان المؤمن وأجمع في النظر لطاقاته ومحركاته وبواعثه وأعمق من هذا الحقد الطبقي والغضب البشري الذي يعتمده الشيوعيون تفسير التاريخ: فالحركة التاريخية في مجتمع كالمجتمع الإسلامي الذي عاش ويعيش إيمانه بعمق لاشك يضطرب بها الحقد الطبقي وتؤثر فيها العوامل الاقتصادية. لكن باعثها الأساسي هو ولاء المجتمع لعقيدة من أجلها يعيش ويموت، فالموت في سبيل الله أعز مطلب في حياة المؤمنين ويدخل في صفوف الصادقين أهل الانتهاز.

لا نعطي ولا تعطي النظرة العملية أية قيمة للتفسير الماركسي للسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، وذلك لأن أبناء المرتدين والمغرورين - لا زالوا - بريق الإيديولوجية لا يدخلون في حسابهم ولا يسمعون في منهجهم المادي التاريخي عنصر العاطفة التي يمكن أن يحركها أسمى وأقوى من باعث الحقد الطبقي، ولا عنصر العقل حين يتجدد لخدمة هدف أسمى من الانتصاف لطبقة مستعبدة - مع دخول هذا الهدف في اهتمام الإسلام - ولا عنصر النقل حين يكون النقل هو كلام الله وأوامره وتعاليم رسوله التي يتوقف فلاح الدين والأخرة على تنفيذها.

الشيوعيون المفكرون منهم وأنصاف المثقفين - وهم كثرة - والأتباع البلداء وهم السواد الأعظم في صفوف الملحدون، عندما يرفعون شعار الموضوعية إنما يعنون النظر للأشياء والأحداث التاريخية والناس نظرة من يضع نفسه فوق الأشياء وخارجها وفوق التاريخ وخارجه وبعيدا عن الناس، وبعقل لا يتفاعل ولا يفعل بمعرفة النفس البشرية ولا بدوافع المحلل الناظر الحاكم على الواقع المسيطر على موقف الاختبار العنيف الذي بمقتضاه تتحرك الأشياء والتاريخ والناس.

دعنا من ذهنية متخلفة نرجو أن تكون منطقية في تسلسل تفكيرها فتتبع إلى عتبة الإسلام أساتذة الماركسية في الغرب الذين أخذوا يطلقون الإيديولوجية ويبشرون بموتها، ويستدلون على فشلها التاريخي والإنساني.

لعل المتخلفين المرتدين من أبنائنا والمغرورين يرتقون مع العصر درجة فيحملون شعار الإنساني الشريف الذي أخذ يحتل مكان الإيديولوجيات كلها وهو شعار حقوق الإنسان، ولعلمهم بعد ذلك يرجعون إلى الإسلام مبدأ وغاية، فلا يحكموا على الإسلام من خلال تاريخ الفتنة، ولا على رجال الإسلام من خلال حكام وعلماء سوء، تحالف منهم طائفة على الإسلام واشتغلوه كإيديولوجية باعثة أو مبررة.

لعلمهم بعدئذ يدخلون في اهتماماتنا التي يجدها خوفنا أن نخرج عن دين الله، ومن دين الله أن لا نرضي الناس بما يسخط الله.

ندعو أبناءنا المغرورين بالإيديولوجيات إلى أن يرتفعوا على الأقل لمستوى العصر وروحه، أن يرتفعوا من الموضوعية «العلمية» الجدلية العنيفة الفاشلة آخر الأمر إلى ذاتية حقوق الإنسان التي يدعيها تمويها وسياسة رؤساء الجاهلية البالية في الغرب.

إرادة الطليعة وكفاحها وسعيها وإيقاظها لهمم المستعبدين، عليها دارت الثورة الشيوعية أينما كانت، لكن تلك الإرادة وجهت العقل -بالموضوعية المزعومة- إلى آلة لا إنسانية قتلت ستين مليوناً في روسيا وحدها منهم عشرون مليوناً من المسلمين المستعمرين، أما إرادة التحرر الإسلامي في إيران مثلاً فوجهت العقل وجهة التسامح والرفق، وكم كان ولا يزال كبيراً التزيف الذي لا يقارن بل يحكم على قومة إيران بالعنف لأنها قتلت منذ قيامها ثلاثمائة شخص!

إن قومة الإسلام تعتمد الإرادة المحررة توقظها لطلب الحق، لطلب الفلاح

في الدنيا والآخرة، لطلب الله، والعقل إذا كان تبعا لهذه الإرادة السامية لا يسعه أن يجيد عن النقل الصحيح، فمن ثم قابليات انضباط العمل الإسلامي ودقته ورفقه وقانونيته.

إن لنا من الله هدى ونورا هو القرآن، وإن لنا هاديا أمينا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذان ركنا وحدثنا المنشودة، فإن كان التاريخ خلف لنا كيانا ممزقا فإن جمعه هو مهمتنا الأولى، وفهم تاريخنا حركة عقلية وإرادية هي مقدمة للجمع إن شاء الله.

والاهتمام بالقاعدة المادية والبنى الاقتصادية والطبقية الناتجة عن القلة والأثرة البشرية الطبيعية، ثم التضامن الطبقي بين السلطة والساسة وديدان القراء ليس حكرا على الشيوعيين «الأذكياء»، ولا ضرورة الصراع الذي نسماه بلغة الإسلام جهادا ولا ضرورة البذل والتنظيم والانضباط الحديدي الذي يشكل القوة المعنوية والمادية الرئيسية في الأحزاب الشيوعية.

اللعب بالقرود

لا نفعل ذلك تقليدا للفكر الماركسي ولا تنازلا لاكتشافاته المنهجية اللاصقة بالأرض، ولعل بعض التقليد خارج الصف يفيد شيوعينا بالتفاتهم لأساتذة الجدلية في الغرب الذين أصبحوا يحكمون على المجتمع الفردوسي الموعود من عهد ماركس، والذي حققه ستالين بأنه همجية لا تملك حتى الوجه الإنساني.

لا نرضى لمثقفينا المغرورين ولا لأنصاف المثقفين أن يقفوا موقف الارتباك الذي نراهم يترددون فيه من يوم اكتشفوا - منذ شهور -

أن الإسلام هو التقدمية وهو الشجاعة وهو «آخر صيحة» في العالم، بل ندعوهم أن يتحرروا من التقليد، ويجددوا إرادة ويفتحوا للحق عقلا فيعيدوا قراءة القرآن، ويعيدوا معنا هذه النظرات السريعة في تاريخ الإسلام ومستقبله.

إن الشخصيات القوية في تاريخنا إذا استقطبت الإرادات الإيمانية بصدقها وإيمانها تلزم الصادقين من المعاصرين أن يعيدوا نظرهم للواقع ويصححوا موقفهم. هذا ما جعل الإمام مالكا وأبا حنيفة يساندون النفس الزكية عليه السلام، وجعل الشافعي يتبع ويؤيد الإمام يحيى بن عبد الله، وجعل أفاضل الأمة يبايعون الحسين وزيد بن علي عليهما السلام.

فلعل الخميني بمثال قيادته، ولعل الأمة الإسلامية بإيران بمثال جهادها تدفع مثقفيها ومن دونهم لإعادة النظر في الإسلام.

إذا قام في بلاد الإسلام واقع ترضاه الأمة وحكم على الشورى فإن الطاعة لله ورسوله ترتبط بطاعة أولي الأمر، فيكون التاريخ القوي تاريخ أبي بكر وعثمان وعلي، وتكون الظواهر الصحية بديلا عن القوة المفقودة بفقدان الطاعة وموجباتها على شكل انتفاضة الحسين وزيد وسائر الأئمة.

«من أرضى سلطانا بما يسخط ربه خرج من دين الله».

هذا يعلم طلاب السلطة أنه من صميم الدين، لذلك كانوا يحتالون إن لم تتوفر لأغليمتهم أهلية القيادة حتى يحرزوا على «بيعة» تلزم بالطاعة مع غياب موجبات الطاعة. إرادة طبقة في السلطة ومن حولها الصنائع تدبر لعبا بالعقول والنقول. والقروود في هذه المأساة مع ديدان القراء غير مدافعين.

كان في دولة بني مروان ذراعان فتاكان هما زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف، وكان حكم السيف الفظيع، فهل استغنى أمثال هذين عن المراوغة والتزييف؟ لا، بل هما المتلازمان أينما كان مجتمع بشري وسلطة وقيم:

السيف والإيديولوجية، وعندما أكتب إيديولوجية أعني بها التحريف والتزييف، أعني بها الإرادة التي تستخدم العقل ليصوغ الأفكار في تركيبة نظرية لها عقيدة ومطالب سياسية بحيث تنبعث النظرية عملاً أو تبرر عملاً.

ارجع إلى يزيد والإمام الحسين عليه السلام، فهناك من الخروم الرئيسية في الإسلام لا لفت النظر إلى باطل سكت عنه أهل السنة حفاظاً على وحدة الصف الداخلي وحق قام يطلبه آل البيت ومن بعدهم الشيعة، فذاك الباطل المطوي وهذا الحق المنشور المعطر بالدماء الزكية طرفاً هذه الخدمة التاريخية التي مزقت الإسلام، لا نريد أن ننكأ الجرح لكن نريد أن ننزع شوكة البأس بين المسلمين بمعرفة منابتها.

الشخصيات المنكرة المخربة في تاريخنا بالسيف والتزييف، المتلازمين خلطت الحق بالباطل منذ خروج الخوارج ومنذ قالوا: «لا حكم إلا لله» فقال الإمام علي كرم الله وجهه: «هذه كلمة حق أريد بها باطل» وما الباطل إلا الخروج عن الجماعة بحجة مصنوعة مزيفة، وإن في صفوف أهل السنة من أراد حقاً فسكت عن باطل، وإن الدخلاء في الشيعة من غلاة ورافضة وقرامطة من ركبوا الباطل إلى الباطل فكان التزييف مهنة رائجة هنا وهناك.

زيد بن أبيه واحد من دهاة العرب وعقلائها وظلمتها، وهو مع ذلك أحد مستشاري التزييف واللعب بالقروود.

ذكر الطبري في تاريخه (5/224) أنه كتب إلى سيدنا معاوية رضي الله عنه في شأن البيعة ليزيد: «فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقروود ويلبس المصبغ ويدمن الشراب ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين بن علي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله ابن عمر؟! ولكن تأمره يتخلق بأخلاق هؤلاء حولاً أو حولين فعماسانا أن نموه على الناس».

«يتخلق ... حولاً أو حولين» حتى يصبح قرداً يمويه به على الناس.

هذه مأساتنا بالأغيلة من قريش، وهذا التمويه وسدنته من ديدان القراء
ومن الشخصيات المخربة هو أصل البلاء، بل أسلوبه في تضييع الإسلام بين
الدولة والدعوة.

أتريد مثالا لخلاعة ما جاء بعد يزيد؟ هذا خليع بني مروان الوليد بن
يزيد، «كان صاحب شراب وهو وسامع للغناء، وهو أول من حمل المغنون إليه
من البلدان، وجالس الملهمين وأظهر الشراب والملاهي والعزف... وغلبت
شهوة الغناء في أيامه على الخاص والعام، واتخذ القيان، وكان متهتكا ماجنا
خليعا... والوليد يدعى خليع بني مروان... قرأ ذات يوم «واستفتحوا
وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى بماء صديد»، فدعا بالمصحف
فنصبه غرضاً وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعد كل جبار عنيد

فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر

فقل يا رب مزقني الوليد

وذكر محمد بن يزيد المبرد أن الوليد أُلحد في شعر له ذكر فيه النبي صلى الله
عليه وسلم، ومن ذلك الشعر:

فقل لله يمنعي طعامي

وقل لله يمنعي شرابي

تلعب بالخلافة هاشمي

بلا وحي أتاه ولا كتاب

(شذرات الذهب 1/168)

لو نشاء لعطرننا هذه الصفحات بذكر الصالحين من أمثال الخلفاء
الراشدين ومنهم عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي القرشي، لكننا بصدد
ذكر بلاء الأمة بالتفرقة المذهبية والسياسية، والمصيبة امتداد للباطل الذي

حملة تاريخنا في أحشائه، والذي نمثل له بذكر قردية يزيد ومجون وإلحاد الوليد.

والمجتمع الإسلامي الحاضر عبر حدود الفتنة القومية لا يزال متأثرا بتلك الأحداث المؤلمة التي بدأت من القرن الهجري الأول، وتجاوز الفتنة المزمنة لا يمكن بالتحليل المقتضب الذي يعتمده بعض الإسلاميين، ويسيطون به المعقد، والذي يقسم الأمة إلى جماعة مسلمة صافية هي جماعة دعوة المحلل، وإلى جاهلية هي كل من سواها.

علاج الفتنة يقتضي تطيبا وتمريضا، والتطبيب لا بد قبله من فحص لتشخيص الداء في الإرادة والعقل، والتمريض لا بد قبله من حساب لجرعات الشفاء بإرادة سليمة موحدة وعقل واع لما لنا وما علينا من جانبي الشق التاريخي بين الشيعة والسنة وبين الفقهاء والصوفية.

ما أتيح للوليد أن «يتخلق حولا أو حولين» ولا فرض عليه وجود أمثال الحسين والعبادة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين، ولا كان له من حاشيته وازع عاقل كما كان لأبيه يزيد الماجن من قبله، قال في الشذرات (1/128): «قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: لما استخلف (أي يزيد بن عبد الملك) قال: سيروا سيرة عمر بن عبد العزيز! فأتوه بأربعين شيئا شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب. فأقبل على الظلم وإتلاف المال والشرب والانهاك على سماع الغناء والخلوة بالقيان، وكان ممن استولى على عقله جارية يقال لها حبابة، وكانت تغنيه، فلما كثر ذلك منه عزله أخوه مسلمة وقال له: إنما مات عمر أمس وكان من عدله ما قد علمت، فينبغي أن تظهر للناس العدل وترفض هذا اللهو».

إننا لا نرى بأسا أن يقول التاريخيون والفلاسفة الماركسيون: «هاكم تحليلا أخلاقيا للتاريخ!» وهذا عندهم غباء، اللعب بالقرود

لعبة يجيدها الأذكياء من رجال السلطة من مثل زياد بن أبيه ومسلمة بن عبد الملك، كان لابد والأمر دين واستقامة وأخلاق أن يتعلم الغلام حولاً أو حولين، وكان لابد أن يسمو في مظهره ليراه العامة على سمت الحسين والعبادة أو على عمر بن عبد العزيز.

ثم ما هم ديدان القراء تكاثروا على رأس مائة سنة من الهجرة. أربعون شيخاً يبررون الفساد والظلم وهتك الحرمات! الحكام بأمرهم نصبوا دمية «متخلقة» أو غير متخلقة، والتزييف أخ السيف وناصره، واللعب بالقروء حساً ومعنى هو نشاط الأغيلمة.

لا تحسب أدام الله عقلك أن لقريش اختصاصاً بصنع الأغيلمة، فالشاه المخلوع بالأمس سار على نفس النمط الذي قرأته من سيرة يزيد والوليد ومن قبلهم وبعدهم، والشيعية ما حاربوا إلا ذلك النمط، وما وجدوا في الأئمة نموذجاً صالحاً إلا الحاجة الصادقين للصدق المشخص أمام الزيف، وللإيمان أمام الإلحاد، وللصلاح أمام الفساد، والدخلاء في الشيعة ما تغالوا في آل البيت إلا المكان التزييف والعنف في تاريخنا، وما انطلقت عليهم أباطيل الشخصيات اليهودية والمخربة إلا ليحاربوا بها أباطيل ديدان القراء واللاعبيين بهم.

ارجع إلى خطبة الإمام الحسين عليه السلام، وقرأ حافز القومة وبرنامج الإصلاح، إنها قومة ضد من استحل حرم الله، ونكث عهد الله، وخالف سنة رسول الله، وعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ولزم طاعة الشيطان وعصيان الرحمن، ثم أظهر الفساد وعطل الحدود واستأثر بالفيء (وهو مال المسلمين) وأحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله.

أليس تغيير مثل هذا الباطل الذي وصفه الإمام حقاً لا يمكن أن يتنازع فيه سنة مع شيعة ولا أن يماري فيه مسلم ولا أن يقعد عنه مؤمن؟ أليس

المسلمون بحاجة إلى قيادة لا تخرج للميدان أشرا ولا بطرا، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتصلح الفاسد وتقيم المعوج؟

أليس رجوعنا إلى الصفاء قد بخر كل الخلافات نظريا؟

أليس آيات الله في إيران قد زالت من أنفسهم عقد الخلاف التاريخي عندما دخلوا ميدان العمل وطرحوا الجدل فأدركوا أن المسلمين إخوة، وأن مهمة الطليعة الواعية هي توحيد المسلمين على الأصل الذي لا جدال فيه وهو الكتاب والسنة، وعنهما نطق الحسين إمام الشهداء عليه السلام؟

بيد أن حرفة اللعب بالقروود والتمويه تحتل الصدارة في مؤهلات الطبقة السياسية التي تنفخ في القومية وتعمق أسباب الخلاف بالدعاية الناظرة إلى خلف، إلى التراث التاريخي تراث الفتنة.

يريد اللاعبون بالقروود أن يطفئوا جذرة القوة الإسلامية في العالم، ويتعاونون مع الجاهلية لتخريب الصف الإيراني ونسف الجهود التي يبذلها إخوتنا هناك لتوحيد المسلمين، وبتري اليد الممدودة بالأخوة من هناك لجمع كلمة المسلمين.

الفتنة

ما كان للانحراف الذي طرأ مبكرا على الحكم في الإسلام إلا أن يبلغ مداه حتى يستقر على الفوضى الداخلية والاضطراب والعنف الذين أصبحا مؤسستين عاديتين في حياة المسلمين خاصة منذ القرن الثالث حين علا كرسي الحكم مثل المقتدر، وتحكمت الجوارى في القصر والسيف في سائر الجهات.

وكانت المعارضة - وهي أمر طبيعي كلما حل الفساد محل الصلاح والجور محل العدل والطبقية الأثرة محل الإنصاف والأخوة بين الناس - تتمثل خاصة في القائمين باسم المشروعية لآل البيت، وقد رأينا تزوير المعارضة ودسائس من استغلوا شعارات الولاء لبيت النبي صلى الله عليه وسلم من أمثال اليهودي ابن سبأ والكذاب المتنبئ المختار الثقفي أحد دجالي ثقيف. في الحديث السابق الذي روينا عن مسلم، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في ثقيف كذابا ومبيرا».

أرأيت كيف وصفت لنا الأحاديث الصحيحة الشريفة أبعاد الفتنة التي غشيت المسلمين؟ غلطة من قريش عاثوا في الأرض فسادا، فانبعث يعارضهم أهل الله من أمثال عبد الله بن الزبير والأئمة الحسين وزيد ومحمد وإبراهيم ويحيى، ومع كل حق باطل يتقنع بقناعه ومع زيد والحسين المختار وابن سبأ ثم من نذكرهم هنا قادة الزنج والقرامطة والباطنية العبيديين.

الفتنة إذن طغيان سياسي وفساد في الحكم، يترتب عليهما المعارضة الصادقة التي يلبس لباسها الكذابون والمشعوذون وجلادو الأمة، ويختلط الأمر كله حتى يكون ظلمة سوداء في غمارها تختلط القيم وتفسد المقاييس، ويتجند العقل في خدمة الإيرادات المخربة يزور ويكذب.

السيف حاكما لا يمض حكمه إلا مع الكذب والبهتان والضلال، وسائر أبعاد الفتنة تتفرع عن هذين الأصلين: فساد الدولة بفقدانها المشروعية الإسلامية الشورية وفساد الدعوة بتبعية ديدان القراء الساكتين عن الحق المبررين للواقع الظالم الخليع (تذكر الأربعون شيخا من صنائع آل مروان) وبتدجيل القائمين باسم آل البيت.

ضاعت وحدة المسلمين في غمار الفتنة، وكل مبير ظالم يحمل معه،

إن كان لسينا شيطاناً، آيات تدجيله كذبا على الله والناس أو يوظف من ديدان القراء وشيوخ التصور سنده للباطل.

المبير والكذاب هما عمادا الفتنة، ومشكل الإسلاميين في عصرنا أن يدركوا أن التآمر بين السيف والتزوير، بين الظلم والإيديولوجية، ظاهرة عامة في تاريخ البشر وتركيبية خاصة في تاريخ المسلمين، هذا التآمر والترابط انحل اليوم في إيران بعد أن بذل الشعب المسلم ثمن الحرية، مشكل الإسلاميين أن يفقهوا كيف تم هذا التحرير ليتخذوا ذلك درسا، إنه الخطوة الأولى المأسوية نحو التحرر الكامل، لكن منطق الأحداث يلزم المسلمين في إيران أن يعيدوا النظر في التاريخ بنية مستقبلية ليطهروا الدين من آثار الفساد التي أحقها بالإسلام تآمر خبيث في الصراع المزمع على السلطة.

على الإسلاميين بإيران وخارجها أن يحللوا واقعهم بعد القومة المحررة أو قبلها على ضوء الكتاب والسنة، ومفهوم «الفتنة» هو المفتاح وآلة التحليل.

المبير الشاهنشاه يضرب المثل للظلم والفساد والسرقة والكذب بما يقارب بل يبلغ أسلافه السلايون قوروش وذرية الأكاسرة الذين ينتمي إليهم بمحض اختياره وأسلافه الخليعون والكذابون والدجالون من الحجاج والوليد وصاحب الزنج والقرامطة.

والآن حين زال الظلم والغمة الطويلة عن المسلمين في إيران، وغدا بحول الله عن سائر المسلمين، يلزم الإسلاميين بعد أن يتخلصوا من المبير أن يتوحدوا على الصدق «ويزيلوا آثار العدوان» على دينهم.

الفتنة لا تزال واقعا يعيشه المسلمون في كل بقاع الأرض، وجذورها متعمقة في جسم الأمة، وبسقوط الطاغوت الحاكم ما هو إلا الخطوة الأولى

للتصفيه والتربية والتزكية، بعدها خطوات وجهود حتى يتم بناء جماعات المسلمين الإقليميه، ثم جماعة المسلمين في العالم والخلافة في الأرض.

والفتنة خطر سيبقى دائما يهدد المسلمين، سيما والقومية بانفعالاتها والتبعية المادية والتقنية والطعامية قبل كل شيء، تشكل روافد التبعية السياسية التي تربطنا ربطا ذليلا بالجاهلية شرقها أو غربها.

ووحدة المسلمين لن تتم ولن يقوم لها كيان إن لم يكن الأساس صحيحا والمادة نابغة من المعين الصافي، شجرة الإسلام لن تزكو ولن تترعرع ولن تقوى إن بقي يمدّها الكذب ويتصرف فيها العنف بوجهيه السيفي والقومي.

تتهددنا النكسات التي حدثت في تاريخنا كنكسة الصراع الداخلي منذ القرن الأول، والتدمير التتري الناتج عن ضعف المسلمين بخلافاتهم وحروبهم الداخلية في القرن السادس، وهجوم الصليبيين والاستعماريين قبل ذلك وبعده.

وإن عالم اليوم وما يضطرب فيه من أفكار وأشياء وقوى لوسط جهنمي لا خلاص للمسلمين منه إلا بوحدة، ولا وحدة إلا بطرح الميرين والكذابين في حاضر سياستنا ومذاهبنا، لا خلاص لنا سيما وقد فقدنا المناعة التي كانت للمجتمع الإسلامي على عهد الوحدة -ولو الصورية- بقيادة الدول المتعاقبة حتى سقوط «الخلافة» العثمانية. كان علماء المسلمين الصادقون يصمدون وسط الإعصار، ويصانعون ويجتهدون للحفاظ على أسس الدين عبر الزعازع السياسية. وكان العلماء يرابطون في المساجد يعلمون الناس ويقفون

من السلطة مواقف مشرفة يذودون عن الحرم ما وسعهم ذلك، أما الآن فأجيال منا تنكرت للإسلام وحملت بين ظهرانينا -تحت حماية القوانين الوضعية والأنظمة القومية- رايات الدعوات الإلحادية، واحتلت معاقل الصراع في منصات المدارس والجامعات وإدارات الإعلام، الشباب الإسلامي بلغ أشده وقوته في إيران، وهو بالغ ذلك في سائر دار الإسلام بحول الله، والبشائر ساطعة، لكن الفتنة رابضة والعدو متربص، فيلزم الإسلاميين أن يدركوا ويفقهوا مكان الحلف الطبيعي بين المبشرين والكذابين، ويتربصوا لهذا الحلف بحلف إسلامي داخل حدود الفتنة الموروثة وعبرها حلف بين الحق والصدق، وهامهم علماء الشيعة يمدون يد الأخوة من وراء الحدود الجائرة، وهامهم بدستورهم الإسلامي الذي يقبل كل المذاهب الإسلامية الفقهية قانونا، ويحمل شعار الإسلام في كل فقراته يضربون موعدا لإخوتهم على الطريق.

أن لا نستبدل حلف الصدق مع القوة ونجتهد لتحقيق شروطه فينا أولا أهل الدعوة، وفي مجتمعاتنا بعد فالخلف الشيطاني يتهددنا، وقد تلبس القومية لنا غدا دثار الإسلام. ونرى مقدمات هذا التطور منذ اليوم في صحف الشيوعيين ببلادنا، إذ أصبحت لها واجهة إسلامية بارزة، غلب عليها طابع التأييد لإيران وقائدها العظيم. فلا حديث للمزورين الشيوعيين إلا عن الإسلام والشعب الإسلامي والقيم الإسلامية، ألا تعسا للمبشرين والكذابين، ولئن أشرف الإسماعيلية البعثية في سوريا على الهلاك بعد أن أنشبوها الناب والمخلب في الإسلاميين -ناب الذئاب ومخالبها- فلا نستبعد أن يخلف تلك القومية العرقية الكافرة وأمثالها تدجيل أو طائفية لبها القومية وطلاؤها الإسلام.

كانت ثورة الزنج فتنة بالمفهوم الإسلامي الذي نتصوره الآن قليلا -أي

ارتباطا مكينا بين دعوة كاذبة وقومية عرقية، استطاع مدبرو الفتنة أن يستغلوا واقع الظلم ليهيجوا أكثر الناس صلاء بناره. واستطاعوا أن يقدموا مشروعهم على أنه المطالبة التقليدية بقيادة آل البيت.

اسمع كيف يصف صاحب الشذرات حال الأمة قبل قيام الزنج بستين (2/124): «قتل المستعين بالله ... وكان أمراء الترك (= السيف) قد استولوا على الأمر (= مقاليد الملكية العاضة) وبقي المستعين مقهورا معهم فتحول من سامرا إلى بغداد غضبان ... ووقع القتال ونصبت المجانيق ودام الحصار أشهرا، واشتد البلاء وكثرت القتلى، وجهد أهل بغداد حتى أكلوا الجيف، وغلب المستعين وخلع فوجه إليه المعتز (وهو المتولي بعده) سعيد بن صالح في جماعة فحملة وقتله بالقاطول، وقيل أنه أدخله إلى منزله «بسر من رأى» فعذبه حتى مات، وقيل بل ركبته معه في زورق وشد في رجله حجرا وأغرقه، وقيل بل وكل به رجلا من الأتراك وقال له اقتله، فلما أتى ليقتله قال له: دعنى حتى أصلي ركعتين! فخلاه في الركعة الأولى وضرب رأسه، وأتى المعتز برأسه وهو يلعب الشطرنج، فقيل له هنا رأس المخلوع! فقال: دعوه حتى أفرغ من الدست (أي من اللعب)! فلما فرغ دعا به ونظر إليه وأمر بدفنه وأمر لسعيد بن صالح بخمسين ألفا وولاه البصرة» (شذرات 2/125).

كانت الفتنة فنونا، وأنواع القتل وأساليبه ومنفذوه أشكالا، وكرسي الحكم لا يستقر إلا بالخضوع للأمراء حملة السيف والإمرة والمال لا يناها إلا الصنائع المجرمون.

لا يهمننا كيف قتل المستعين وأين، فالتعذيب والتغريق لا ينفكان

عن لعب الغلطة وآلاف الدنانير والمناصب الإمارة، هذا ما يهمننا.

في السنة التي قبل قيام الزنج قتل أحد أمراء الترك بنفس الأسلوب الذي قتل به «الخليفة».

«فيها (سنة 254) قتل بغا الصغير الشرايبي. وكان قد تمرد وطغى .. فتفرد واستبد بالأموار. وكان المعتز بالله يقول: «لا أستلذ بحياة ما بقي بغا!» ثم إنه وثب (أي بغا) فأخذ من الخزائن مائتي ألف دينار وسار نحو السند. فاختلف عليه أصحابه، وفارقه عسكره فذل. وكتب يطلب الأمان وانحدر في مركب فأخذته المغاربة، وقتله وليد المغربي وأتى برأسه فأعطاه المعتز عشرة آلاف دينار» (شذرات 2/128).

أمراء طاغون وملك لاعب يستلذ «الحياة» وعساكر يتبعون المال ومرترقة يأخذون عشرات الآلاف. والأمة مظلومة موطوءة تحت النعال.

هذا هو الواقع الذي ثار عليه النحس وموه بمعارضته على المحتقرين المذلولين.

الثورة يقال لها فتنة بلسان الإسلام. وإنما كانت القومة على عهد الحسين والأئمة من آل البيت الصادقين عليهم السلام لما فيها من صفاء ولما معها من حق اعترف به علماء الأمة وأفاضلها وفي مقدمتهم أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم.

أما الفتنة فهي عمياء وظلمة ظلماء يذهب فيها الحق ضحية للباطل وأهل الحق طعمة لأهل الباطل. ولهذا الاختلاط والعماية والظلمة يشير قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال 25).

على أن مفهوم الفتنة والبلاء في القرآن غيره في الحديث النبوي ... ولعل الله يتيح لنا عودة للموضوع، نكتفي أن نشير أن الفتنة في القرآن كلمة تدل على اختبار الله ليسلموا له في حكمته الجامعة بين مقتضيات هذا الكون من وجود الصالح والطالح والشقي والسعيد والجنة والنار، وما خلق الله الدنيا والآخرة، ولا السماء والأرض ولا الموت والحياة إلا ابتلاء وامتحانا لهذا العقل المفطور على حب الاطلاع، وعلى التعليل والتركيب المنطقي والتطلع للحق بوسائله، وهنا تأتي الهداية مشخصة في الرسول والوارث الداعي إلى الله ومودعة في النقل من كتاب الله وسنة رسوله، الإرادة البشرية، وموطنها القلب، تلتقي بالهداية المنسكبة فيه رحمة من الله فينسجم العقل والنقل والإرادة على منهج السير إلى الله عبر متناقضات الفتنة بهذا المعنى القرآني.

والفتنة في الحديث تعبر عن اختلاط الواقع وظلمته وتشابك الأهواء البشرية وتطاحنها وتخاصم الإرادات واستعمالها للنقل والعقل تحكما بالسيف وتزويرا للحق.

﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال 25).

هنا يتصل المفهوم القرآني بالمفهوم النبوي - والنبع واحد -.

لا يمكننا أن نفقه المنهاج النبوي لتجديد الإسلام إلا إن استعملنا بفهم عميق شامل للإنسان والكون والدنيا والآخرة وموقف كل هذا ومكانته من الخالق عز وجل وحكمته، وأن معالم الطريق لا تتضح لنا إلا بتدقيق هذه المفاهيم القرآنية النبوية لنتناول بها الواقع تحليلا والمستقبل تخطيطا مستنديين للوحين كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ما دام هناك إسلام على مستوى الأفراد في هذه المجتمعات

الإسلامية الموروثة، وما دام هناك أثار من علم وأثار من إيمان ومساجد يذكر فيها اسم الله وضمير الأمة متمثلاً في فضلائها وصالحائها فلا يمكن بوجه أن نطلق على مجتمعاتنا أنها جاهلية، نعم القوى الجاهلية تغزونا من خارج حتى تأخذ بين ظهرانينا مراتع ومراكز تمثل في هذه الطوائف الملحدة والضالة والمبتدعة من أبنائنا، لكن الفرق بين الحل الإسلامي الرحيم الحكيم بقومة يتلوها تجديد وبين الحل العنيف الذي يزيد فتنة على فتنة إنما يتوقف على تحليلنا للواقع والعقل والنقل والإرادة بمنهاج إسلامي قرآني سني أو بمنهاج ثوري يتمسح بحرمة شعارات الإسلام ويموه بها.

في الناس مسلمون يمارسون إسلامهم عبادات فردية بعد أن انسحب الإسلام الحق من الحياة العامة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، أعني مشروعية الحكم على الشورى، وأعني التضامن الأخوي بين المسلمين بعد العدل، وأعني استغلال الأمة لخيراتهم وقسمتها للأرزاق ومهمات الإنتاج والأمن الحياتي بما يخدم الاستقرار السياسي والوحدة والاستقلال والعز والاستخلاف في الأرض للأمة الشريفة.

كان نظام الحكم فاسداً في عهد المستعنين، وكان المجتمع والأخوة الإسلامية فيه والعدل وقسمة الأرزاق بالحق قد نالها من جراء فساد القيادة وهن كبير، ولعل ذلك الوهن لم يبلغ معشار ما بلغه اليوم في دار الإسلام، وأن تلك القوميات التي سادت تلك العصور والنعرات والشعوذة كانت ساذجة بالنسبة للقومية المفلسفة المنظمة المسلحة التي في عصرنا.

كان الأفراد مع ذلك يومئذ أشد تمسكاً بالإسلام مما يمكن أن نجد مثله اليوم لوجود العلماء العاملين، لوجود دعوة الحق المقاومة لإيديولوجيات الباطل.

ولئن كانت الغلبة للكذابين والمبشرين فإنه كان في الناس بقية إسلام وأثرات علم وإيمان حتى في القمة، قبل أن يقتل المستعين تذكر سنة الصحابي الجليل خبيب رحمه الله الذي صلى ركعتين قبل أن يقتله المشركون بمكة. وكان المستعين يقول بعد خلعه: «اللهم إذ خلعتني من الخلافة فلا تخلعني من رحمتك ولا تحرمني جنتك!» كان الرجل مسلماً، كان هو أيضاً ضحية الفتنة إلى حد ما، هذه رحمة الإسلام، أما الحكمة فتتظر إلى مصدر البلاء، إلى منبع الفتنة، إلى حلف المبشرين والكذابين، وفي خضم الفتنة يصاب رجال صالحون منهم عدد لا بأس به من بني أمية وبني العباس، رحم الله الجميع بفضله.

كان علماءنا قبل الغزو الفكري ومسح الشخصية الإسلامية يستعملون في كلامهم المفاهيم القرآنية النبوية، فلعلهم كانوا من لوثة العصرنة أسلم منا، قال في الشذرات يصف ثورة صاحب الزنج (2/192):

«فيها (أي سنة 255) فتنة الزنج وخروج العلوي قائد الزنج بالبصرة، خرج بالبصرة فعسكر ودعا إلى نفسه وزعم أنه علي بن محمد... ابن زيد بن علي، ولم يثبتوا نسبه (= كذاب)، فبادر إلى دعوته عبيد أهل البصرة السودان ومن ثم قيل: الزنج، والتف إليه كل صاحب فتنة حتى استفحل أمره، وهزم جيوش الخليفة واستباح البصرة وغيرها وفعل الأفاعيل».

«وفيها خرج غير واحد من العلوية وحاربوا بالعجم وغيرها».

كانت سوق الفتنة عامرة والسيوف حكما والدعوى الكاذبة للعلوية نافقة فيها.

لا جرم أن يكون الأمر كذلك ما دام الحكم للسيف والخليفة لعبة لهواه وقصوره وأمرائه، وفي السنة التالية لثورة الزنج: «كان صالح

ابن وصيف التركي قد ارتفعت منزلته وقتل المعتز (صاحب الرأس والشطرنج والآلاف والمرزقة) وظفر بأمة صبيحة ... فلما دخلت هذه السنة أقبل موسى بن بغا وعبأ جيشه في أكمل أهبة، ودخل سامرا مليون قد أجمعوا على قتل صالح ... وصاحت العامة: يا فرعون جاءك موسى ! ثم هجم موسى بمن معه على المهدي بالله وأركبوه فرسا وانتهبوا القصر «وفي رجب قتل المهدي بالله ... وكان أسمر رقيقا مليح الصورة ورعا تقيا متعبدا عادلا فارسا شجاعا قويا في أمر الله خليقا للإمارة، لكنه لم يجد ناصرا ولا معينا على الخير، وقيل إنه سرد الصوم مدة إمرته، وكان يقنع بعض الليالي بخبز وزيت وخل، وكان يشبه بعمر بن عبد العزيز، وورد أنه كان له جبة صوف وكساء يتعبد فيه بالليل، وكان قد سد باب الملاهي والغناء، وحسم الأمراء على الظلم، وكان يجلس بنفسه لعمل حساب الدواوين بين يديه، ثم إن الأتراك خرجوا عليه فلبس السلاح، وأشهر سيفه وحمل عليهم» «وكان المهدي ورعا زاهدا صواما لم تعرف له زلة، وكان سهل الحجاب، كريم الطبع يخاطب أصحاب الحوائج بنفسه ويجلس للمظالم ويلبس قميص الصوف الحشن تحت ثيابه على جلده. وكان من العدل على جانب عظيم. (شذرات 2/131).

رجل صالح تقي شجاع عابد يخاف الله، لكن يا للأسف ! كان النظام فاسدا فجرف الرجل الصالح، وأصابت الفتنة الظالمين والصالحين عامة، رحم الله المهدي وأمثاله وغفر لنا ولهم، ورحم هذه الأمة كلها بفضله.

واستمر الأمراء المتسلطون على الحكم يجاربون الأدعياء المتسلطين على الدين وعلى الأمة المسكينة، في سنة 259 «كان طاغية الزنج قد نزل البطيحة وشق حوله الأنهار وتحصن، فهجم عليه الموفق فقتل من أصحابه

خلقا و حرق أكواخه واستنجد من النساء خلقا كثيرا. (النساء مسكينات. كل تاريخ وهن ضحيته الأولى عندما تنحط القيم ويقود العنف)، فسار الخبيث إلى الأهواز ووضع السيف في الأمة فقتل خمسين ألفا وسبى مثلهم» (شذرات 1/139).

مع هذه الفتن وقتل الأمة بالسيف، أدى عدم الاستقرار لتدهور اقتصادي بلسان العصر، في سنة 260 بلغ كر الحنطة مائة وخمسين دينارا ودام الغلاء أشهراً، وهو رقم خيالي والشعب هو الذي يؤدي ثمن كل الفتن.

أقبلك قارئ العزيز من التفاصيل الدموية المؤلمة، يكفي هنا قول صاحب الشذرات (1/141): «فيها (261) كانت الفتن تغلي وتستعر بخراسان بيعقوب بن الليث، والأهواز بقائد الزنج وتمت لهما حروب وملاحم». والدولة لا شوكة لها لفرض الأمن ولم يذكر المؤرخ موجان الأعراب والأتراك وسائر الأجناس.

بعد هذا برز القرامطة، وهم أسوأ من عرفهم تاريخ الإسلام من أهله فتكا وفسادا وإفسادا، قال مؤرخنا: «فيها (278) مبدأ ظهور القرامطة بسواد الكوفة، وهم قوم خوارج زنادقة مارقة من الدين، قال في الشذور: وكان ابتداء أمرهم أن رجلا قدم إلى سواد الكوفة فأظهر الزهد، وجعل يسف الخوص ويأكل من كسبه ويصلي ويصوم، ثم صار يدعو إلى إمام من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويأخذ من كل من دخل في قوله دينارا». شذرات (2/171).

وهكذا تنسك لهم دعي آخر من مؤسسي الحركات الفتنوية، ولعل شيوعيا يقول: إن صاحب الزنج بطل محرر وصاحب القرامطة نائر ذكي.

لكن حكم علمائنا كان وما يزال ينطلق من مبادئ الإسلام التي تقر القومة بشرطي المشروعية في معارضة الظلم والكفاءة في القائمين، ولا تقر بوجه التدجيل والكذب المؤسسين لدول العنف، لا يقر الإسلام السعي لاستبدال فتنة بفتنة.

ومن أكبر الفتن التي حلت ببلاد المسلمين من داخلها فتنة العبيدين الذين أقاموا دولتهم قرونا طويلة على الزور والتدجيل حتى صرح أحدهم وهو الحكم بالألوهية، ما برز القرمطي حتى تلاه العبيدي، ذلك سنة 278 وهذا بعد بخمس سنوات.

وكان الحزبان الفتنويان يتباريان في ادعاء حماية الإسلام وتجديد مشروعية آل البيت، «كان زكرويه (رئيس القرامطة) يدعي أنه من أولاد علي رضي الله عنه، ويكتب إلى أصحابه: من عبيد الله بن عبد الله المهدي المنصور بالله الناصر لدين الله القائم بأمر الله الحاكم بحكم الله الداعي إلى كتاب الله الذاب عن حريم الله المختار من ولد رسول الله) شذرات (2/202).

هذا أول الألقاب الطنانة المشهورة التي كان يتحلّى بها الفاطميون المزورون!

هذا الادعاء والإيديولوجية والكذب، أما الفساد فهناك: «فيها (294) أخذ ركب العراق زكرويه القرمطي وقتل الناس قتلا ذريعا، وسبى نساء وأخذ ما قيمته ألفا ألف دينار، وبلغت عدة القتلى عشرين ألفا ووقع البكاء والنوح في البلدان» (شذرات 2/215).

من كان يحكم قبل هذه الكوارث وعندما باتت الأمة تبكي وتنوح وتنهب أرزاقها وتسبى نساؤها وتقتل أبناءها؟

القهرمان العتيدة! قال مؤرخنا: «فيها (247)، وقبلها أمرت أم المقتدر في أمور الأمة، ونهب الركافة ابنها، فإنه لم يركب للناس ظهرا منذ استخلف إلى سنة إحدى وثلاثائة (حتى المثل في الموكب الرسمي، حتى المظاهر غابت) ثم ولى ابنه عليا إمرة مصر وغيرها وهو ابن أربع سنين (هكذا الركافة وإلا فلا!) وهذا من الوهن الذي دخل على الأمة (أرأيت المفهوم النبوي: وهن، والمفهوم القرآني أمة، وفي لقاء الكلمتين أنين تتبينه الأذن الإسلامية)، ولما كان في هذا العام أمرت أم المقتدر ثمل القهرمان أن تجلس للمظالم وتنظر في القصص (الشكاوي) كل جمعة بحضرة القضاة، وكانت تبرز التواقيع وعليها خطها» (شذرات 2/247).

نبكي الفتنة ولا نستيهن بتاريخ الإسلام ككل، معاذ الله وفي الناس قبل هذه الفترة المضطربة وبعدها وأثناءها رجال مؤمنون من أمراء وعلماء وصالحين وقادة مجاهدين، لكن معجزة هذا الدين في بقاءه ومناعته على كل عوامل التخريب التي تظافرت عليه ولا يزال قائما، إن لم يكن في الواقع القوي -وقد بدأ في إيران بحمد الله- ففي أفئدة هذه الأمة، في ضميرها الحي المتوثب، في هذا الشباب المتجدد للإسلام الذي نعيشه بحمد الله.

استفحل أمر القرامطة وانحل نظام الدولة، بل ازداد انحلالا بظهور الديلم واستكلاب الروم.

فماذا فعلت القهرمان لمواليها اللاهين في القصور؟

«دخل الوزير ابن عيسى على المقتدر وقال: قد تمكنت هيبة هذا الكافر (القرمطي)، وكان القرامطة ينهبون الكوفة كل جمعة في مشاهد

لا تطاق) من القلوب، فخاطب السيدة في مال تنفقه في الجيش وإلا فمالك إلا أقاصي خراسان (أما سائر بلاد الإسلام فنهب مقسم بين أصحاب الفتن)» (شذرات 2/269).

ما لبث بعد هذا التشفع المهين للسيدة (أية سيدة؟ الأم أم الجارية القهرمانة القاهرة للقضاة والعلماء؟) أن دخل القرامطة مكة المكرمة سنة 317، «فيها حج بالناس منصور الديلمي، فدخلوا مكة سالمين (السلامة في طريق الحج كانت غنيمة نادرة في تلك العصور المضطربة، لذا لزم التنويه من المؤرخ)، فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر (يا لتناقض الأسماء والمسميات!) القرمطي، فقتل الحجاج قتلا ذريعا، واقتلع الحجر الأسود وأخذه إلى هجر، وكان معه تسعمائة نفس فقتلوا في المسجد ألفا وسبعمائة نسمة، وصعد (أي عدو الله) على باب البيت وصاح:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا!

... وقيل إن الذي قتل بفجاج مكة وظاهرها زهاء ثلاثين ألفا، وسبى من النساء والصبيان نحو ذلك، وأقام بمكة ستة أيام ولم يجج أحد، قال محمود الأصبهاني: دخل قرمطي وهو سكران فصفّر لفرسه فبال عند البيت، وقتل جماعة ثم ضرب الحجر الأسود بدبوس فكسر منه قطعة ثم قلعه، وبقي الحجر الأسود بهجر نيفا وعشرين سنة» شذرات (2/274).

القيادة والمنهاج

تجديد الإسلام هدفه العام الخروج بالأمة من الفتنة ورفع الأفراد من مستوى الإسلام الفردي إلى مستوى الإيمان علما وعملا، ورفع المجتمعات

الإسلامية المتفرقة المنشقة المتخلفة حضاريا إلى مستوى الكفاية والاستقلال والقوة، ثم رفعها جميعا من الفرقة للوحدة، ومن التبعية في العالم للجاهلية إلى مقام قيادة البشرية وحمل رسالة الإسلام رسالة الخير للعالمين.

ونظرنا في تاريخنا الإسلامي - ولا أظن أن تاريخ أمة يقارب تاريخنا من حيث الصمود والقدرة على البقاء مدة أربعة عشر قرنا أمام الفتن الهائلة المهولة - يجلي أمام أعيننا ما يلي:

1. القيادة السياسية تحولت في عهد مبكر جدا - بالضبط بعد ثلاثين سنة من الهجرة - من مرحلة الخلافة على منهاج النبوة إلى مرحلة الملك العاض، معناه أن الفتنة حلت في القمة القيادية منذ ذلك العهد، وما ومضات وجود عمر بن عبد العزيز إلا استثناءات نادرة. وكل تجديد يجب أن يهدف لإصلاح الخلل السياسي في هذه المجتمعات الإسلامية المتبلاة التي أخذت تتحرك فيها الحياة بجذ، معناه أن التجديد لا بد فيه من عنصر القيادة السياسية الرشيدة، بل هذه القيادة هي العنصر الأساسي في التجديد.

2. رجال الدعوة أهل العلم والتقوى والصلاح لا يخلو منهم عصر ولا قطر، حتى في صف الحكام، والمهتدي بالله نموذج للرجل الصالح وسط نظام فاسد، لكن الخلل الثاني والمهم جدا الذي حدث في جسم الأمة، هو الخلل الطارئ من سكوت العلماء عن الحق تدريجيا إما اجتهادا للمحافظة على وحدة الأمة وكيانها، وما زالت الأمة الإسلامية أمة مقاتلة منذ مبعثها يحيط بها العدو والأخطار، وإما انزواء عن الفتنة وابتعادا عن العالم في نشدان الصلاح الفردي والكمال الروحي، وبهذا التخلي من جانب الصادقين أتاحت الفرصة لعلماء السوء أن يتسربوا لمراتب السلطة بل استدعوا إليها استدعاء، كان لقاء الميرين مع الكذابين ضرورة سياسية كما رأينا، وكان تحالفهم سمة بارزة للفتنة بل ماهيتها. فكل تجديد لا بد فيه من لقاء

سليم بين القيادة السياسية وأهل العلم والمنهاج.

3. وجود رجال الدعوة وصالحو الأمة وعلمائها الأخيار ظاهرة مستمرة، وبفضل مقاومتهم ودفاعهم عن الشريعة والقيم بقيت الأمة مسلمة في القاعدة رغم دواعي التعصب المذهبي، ورغم الجهل ورغم كل عوامل التعرية الأخرى، فكل تجديد لا ينطلق من مفهوم الفتنة وضرورة الرفق والتطبيب الحكيم لن يكون تجديدا على المنهاج.

أزمتان إحداهما أعوص من الأخرى، تعيشها الأمة ما تزال: أزمة القيادة وأزمة المنهاج.

من هنا قام هذا الأمر - أي وجود الأمة الإسلامية - على أساس الدعوة، وعلى الدعوة أسست الدولة، وكان رجال الدعوة، من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غاية ثلاثين سنة من الهجرة هم أنفسهم رجال الدولة الحاكمون القادة الراشدون.

ثم أخذت ملامح المبير تتضح شيئا فشيئا وبجانبه الكذاب يمويه تارة ويتظاهر بالتقوى تارة أخرى، وتأخر العلماء العاملون وتصدر الطالحون.

والآن أصبحت الدولة أكثر تحررا من الدعوة من أي وقت مضى، ما عدا الرجعة التي نشاهدها الآن - بعد قومة إيران وخزي الشاه - حيث يسارع الحكام لتبني القضايا الإسلامية يسابقون الأحداث.

فكيف نصلح الخلل السياسي المزمّن، وكيف يتم لقاء الدولة والدعوة، وكيف يكون الأمر خروجاً من الفتنة لازدياد فتنة على فتنة؟

لابد للتجديد، كي يكون إسلامياً، من الاستنارة - بالنقل الصحيح و بالعقل المستقل عن الهوى الخادم للقلب المستنير بنور الله.

نحن المؤمنون إن شاء الله تعالى نتلقى عن الله أحداث الكون، نعتبرها آيات يبسطها الله لنا للعبارة والاستفادة، لا نمر عليها من يعتقدون أن العالم صدفة وأن الأحداث عبث، نتلقى آيات الله في الكون كما تلقينا كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بالتصديق والرضى «ونية التنفيذ» والجهاد.

ها هو الإسلام يصيح بأهله أن هبوا من نومكم واجمعوا قوتكم وتأهبوا للقومة الكبرى، الغليان الإسلامي في العالم واهتمام الناس جميعا به من أعداء ومنافقين وأصدقاء ظاهرة شباب وعرامة لكنها ظاهرة صحية.

فهل هذا الغليان هو التجدد؟ وهل يكفي أن نتبع الحماس والعفوية أم لابد من تدبير ومنهاج وتخطيط لتوزيع الطاقات العارمة في قنوات للبناء لا للهدم؟.

كيف تنظم جماعة المسلمين القطرية؟ كيف يتم التغيير في القيادة السياسية؟ من يغير وفي أي اتجاه وبأي أسلوب؟.

قيام الإسلام أمر حتمي لا يشك فيه مؤمن، وما على الدول والحكومات في بلاد المسلمين كافة إلا أن يختاروا أسلوب حربهم أو لقاءهم للإسلاميين.

أهل الدعوة هم المرشحون سوايا للقيادة، وغلبة القوى الأرضية عليها مدة هذه القرون الطويلة لا يعني أنها ستبقى للأبد غالبية.

إن مفهوم الفتنة والأسلوب الرفيق للتجديد لا يعني إصلاحية مترهلة متنازلة عن الحق، وكل تنازل عن بعض الحق فهو تنازل عن الحق أجمع.

نعم لابد من مراحل وانتقال متأن، لابد من تودة وصبر

طويل، لا بد من بذل الجهد باستمرار، لكن لقاء القيادات السياسية لا يعني بوجه أن يبقى هؤلاء القادة سياسيين كما هم، بل يعني تحويلهم إلى الإسلام بلا تحفظ وبشروط عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه.

هذا الرجل الفذ هو تقيتنا لو كنا نحتاج لتقية ونحبذ تقية، نعلم أن القيادات السياسية لا تقبل من ينازعها في الأمر يزاحمها، فنحن نضع لها بصدق نموذج ابن عبد العزيز ونقول بعد ذلك تحدياً: هيهات!

اجتماع الدولة والدعوة يعني بالعكس أسبقية الدعوة على الدولة وهيمنتها عليها.

كان علماء إيران - قبل الخميني - يقترحون فقط على الحكام أن يدخلوا إصلاحاً وأن يقبلوا تصالحاً مع الدعوة، لكن الحكام عموا وضموا، وجاء الإمام بفكرة واحدة عميقة ومصممة، هي فكرة «ولاية الفقيه» ومعناها مسؤولية رجال الدعوة عن الجهاد في سبيل الله وأهليتهم للقيادة وأهمية الدور التاريخي الذي ينتظرهم، حتى بلغ وعي رجال الدعوة درجة عالية، وقام العلماء بإيقاظ الشعب للإسلام بعد أن كان دعاة الثورة التقدمية الزمنية وحدهم المسموعين في الميدان، ونعرف تسلسل الأحداث بعد ذلك.

إن تاريخ الإسلام وترديه من رشاد لفتنة ثم صعوده الموعود من حضيض الفتنة - وقد وصلناه - إلى قمة الرشاد بإذن الله يلخصه هذا الحديث الشريف.

روى الإمام أحمد واللفظ له، والبزار بآتم منه والطبراني ببعضه في الأوسط، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات. روى أحمد عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: كنا قعوداً في المسجد، وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا أبا بشير بن سعد! أتفظ حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأمراء؟ فقال له حذيفة: أنا أحفظ خطبته.
فجلس أبو ثعلبة، فقال أبو حذيفة، فذكره مرفوعاً:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضاً ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت».

خلافة على منهاج النبوة تعني ما كان عليه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز، ومن كان من صالحى الأمراء فهو لاحق بالرشاد والمنهاج على قدر صلاحه وبلائه.

ملك عاض فملك جبرية، هذان عهدان عرفناهما، والجبرية اشتداد في العض وحكم فردي عات يتألف مع النفاق والإلحاد، سمي ذلك جمهورية أو غيرها.

فما بعد العض والجبر وقهر الأمة وظلمها إلا الخلافة على منهاج النبوي، فبحثنا عن منهاج مفتاح فكري لفهم الكتاب والسنة ومقتضيات الجهاد ووسائله وغايته وفهم كتاب العالم والناموس الإلهي الذي به يدبره ويدبر العالمين واجب العلماء، وحثنا عن موقف الدعوة من الدولة وعن الشروط المنهاجية المرحلية ليتحمل رجال الدعوة مسؤولية التجديد هو من لب منهاج النبوي، والأمر يقتضي اجتهاداً لأن موقفنا التاريخي جديد ما سبق مثله، ولأن فرصتنا التاريخية (وأعني بالتاريخي والتاريخية شيئاً آخر غير ما يعنيه الماديون) فرصة فريدة.

قرر علماءنا أن الاجتهاد يتبعص، كانوا يسمون مجتهدا مطلقا من بلغت أدواته العلمية أن يستقي مباشرة من كتاب الله وسنة رسوله وآثار الإجماع، وتحقيق صلاحية القياس لكل الأحكام الشرعية الفقهية، أما التجديد فقد حصل قطعا على رأس كل مائة سنة لكن حصل دون أن يوضع له منهج علمي، ودون أن يتفق السلف الصالح على تعيين هذا العامل البشري - فردا أو جماعة - الذي جدد ولا ما جدد ولا كيف جدد.

ولعل الله سبحانه ادخر لهذه الأجيال المتأخرة في الزمن مزية ونعمة القيام بهذا التجديد الأعظم، التجديد الذي ينتقل بالأمة من الملك الجبرية والفرقة إلى الخلافة والوحدة والقيام بالقسط والشهادة لله في الأرض.

وفقه التجديد فقه شامل لا يعني بالجزئيات العبادية والجهادية والاقتصادية والتربوية لتحقيق أحكامها معزولا بعضها عن بعض، لكنه يعنى بجمع هذه الأحكام كلها في نظرة شمولية، ووضع كل منها موضعها في البنية الإسلامية السليمة سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وعالميا.

والطريق ممهد سواء من ناحية التفكير والتنظيم والأمثلة الشجاعة القوية في مواقف الرجال.

فكر المودودي والشهيد سيد قطب وتربية النورسي وحسن البناء وصبر الإخوان التبليغيين وجهاد الإخوان المسلمين، كل هذه مكاسب وعلامات على الطريق، لكن الطريق شاق ما يزال، والنموذج الإيراني لا يعطينا حتى الآن إلا هذا الدرس الأساسي، وهو أن غضبة الشعب إذا وجدت قيادة صالحة يمكن أن تتحول قوة لا تقاوم، درس أساسي، لكن نموذج التجديد والاجتهاد النظري العلمي لتحقيقه ما يزال تطلعا نرجو الله أن يبلغه المؤمنون في إيران وسائر دار الإسلام.

حوارنا نحن رجال الدعوة إن شاء الله، وأهَّلنا لحملها، مع رجال الحكم ومع الطبقة السياسية والمثقفة وسائر الأمة يتلخص فيما يلي:

1. تستفيدون كما نستفيد من دروس التاريخ غابره وحاضره، فأنتم مقتنعون بوجوب إصلاح الخلل السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

2. تعلمون كما نعلم أن الشعب لا يتبع قيادتكم إلا بقدر ما تحققونه من نجاح اقتصادي، وأن الشعب لا يقبل أفكاركم اللصيقة جدا التابعة جدا للفكر الجاهلي إلا بقدر ما تضيفون على تلك الأفكار طلاء إسلاميا.

3. سميتم قيادتكم ومذهبكم في السياسة والاقتصاد والاجتماع ديمقراطية هنا، وديمقراطية شعبية هناك، نقول: مرحبا بالديمقراطية مادامت تعطينا حق المواطنة وحق التجمع والتنظيم والتعبير ومغالبتكم في الانتخاب - إن جعلتموه يوما ما ديموقراطيا - على مقاليد الحكم.

لكن تعلموا إن لم تكونوا تعلمون أن جنون العالم، وهذا الاضطراب الشامل الذي ترونه آيات من الله عز وجل مؤذنة بخراب الحضارة الجاهلية وقيمها وفكرها وثقافتها، مؤذنة إن شاء الله تعالى بميلاد الإسلام والخلافة على منهج النبوة، فخذوا للأمر عدة، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم، ولرحمة الإسلام ندعوكم هروبا من عنف الفتنة وبغضائها، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، ما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها، أخذ الله بناصيتنا وناصيتكم لما فيه فلاحنا جميعا في الدنيا والآخرة، ولما فيه خير هذه الأمة التي ابتلاها الله على أيديكم معشر الطبقة السياسية بالفساد والإفساد، إنه على ما يشاء قدير.

ليعذرنا الفضلاء من هذه الطبقة، فنحن نعلم أن وراء التنظيمات الحزبية أفرادا هنا وهناك، لهم ضمائر حية ونظيفة، وهم قد علموا أن الفتنة

لا تصيب الذين ظلموا خاصة. وكذلك حكمنا المعم لا يقصد من تستثنيهم ضمايرهم الحرة إلا بقدر ما يكفي للتويخ الضمني لوقوفهم في صف المصالح والإديولوجيات والقومية والقبلية.

وصف حزب الله في انتظار أن يلتحق به الصادقون المخلصون لله، ولا بد من يوم يظهر فيه فشل كل تحرك في بلاد الإسلام لا يدفعه الإيمان بالله ورسوله والجهاد في ذات الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

منبر الوعظ

بقلم: علي سقراط

الصلاة

(3)

صلاة الجماعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فيما يبلغه عن ربه عز وجل أنه قال: «من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت في شيء أنا فاعله، ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته». رواه البخاري

كلنا يريد التقرب إلى الله ويتشوف إليه، وأول خطوة لنيل هذا التقرب: الالتزام والامتثال والقيام بأوامر الله، وأداء فرائضه، وفي أداء الفرائض راحة لضمائرننا ونشاط لأبداننا، ومن الفرائض والواجبات التي يتغافل عنها عامة الناس ولا يهتمون بها: المواظبة على صلاة الجماعة في الصلوات الخمس، وفيما شرع فيه الجماعة من النوافل.

صلاة الجماعة لا يتخلف عنها إلا منافق

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقي الله غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات، حيث ينادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم سنن الهدى، وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد، إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف».

وفي رواية: «لقد رأيتنا وما يتخلف عن الصلاة إلا منافق قد علم نفاقه، أو مريض، وإن كان الرجل يمشي بين رجلين حتى يأتي الصلاة»، وقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمنا سنن الهدى، وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذن فيه». رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

النهي عن التهاون بصلاة الجماعة

إن الشارع نهانا عن التهاون بصلاة الجماعة، وأن نصلي في بيوتنا فرادى إلا لعذر شرعي.

عن عمرو بن أم مكتوم رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أنا ضرير شاسع الدار، ولي قائد لا يلائمني، فهل تجدي لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال: أسمع النداء؟ قال نعم، قال ما أجد لك رخصة».

رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن خزيمة في صحيحه والحاكم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد هممت أن أمر فتيتي فيجمعوا لي حزما من حطب، ثم آتي قوما يصلون في بيوتهم ليست بهم علة، فأحرقها عليهم، فقيل ليزيد (هو ابن الأصم): الجمعة عنى أم غيرها؟ قال: صمت أذناي إن لم أكن سمعت أبا هريرة يأثره عن رسول الله صلى الله وسلم ولم يذكر جمعة ولا غيرها».

رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي مختصرا. إذا علمنا ما ينتظر المتخلف عن صلاة الجماعة من الوعيد الشديد، فلم لا نبتدر حضورها ونأتيها في أول أوقاتها، ونواظب عليها، حتى نتقي شر ذلك الوعيد ونقترب إلى الله عز وجل، لعلنا نفوز برضاه، ونكون من المؤمنين المحسنين.

فضائل صلاة الجماعة

صلاة الجماعة ترمي إلى غاية نبيلة، وتهدف إلى التخلق بأخلاق عالية، هي جمع قلوب المؤمنين على الألفة والتعارف والمحبة والتعاطف قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَبَدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَاللَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: 62-63). إن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شيء.

إن صلاة الجماعة ترمي إلى تهذيب السلوك، وتطهير القلوب من التنافر والتباغض والشقاق والكراهية، وتحث على إخلاص العبادة للمعبود، ومحبة الله، وطلب رضاه. يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله: «أصل العبادة محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يجب معه سواه، وإنما يجب لأجله وفيه». ومعلوم أن من محبة الله محبة عباده، فإننا نرى أن تكديس الأجسام وازدحام الأبدان غير مرغوب فيه إذا لم يتحقق هذا المقصد

النبيل، إنما جمع الأجسام وسيلة لجمع القلوب والوصول إلى تركيز الوحدة الدينية العامة، التي أمر بها الإسلام وكلف بها المؤمنين لتحقيقها وتحصيلها، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (آل عمران: 103-102).

على أن صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين ضعفاً، والإنسان لا بد أن يبحث عن ربح دنيوي أنى وجدته! فما باله لا يبحث عن الربح الأخروي الدائم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سوقه، خمسا وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجها إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحط عنه بها خطيئته، فإذا صلى لم تنزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث، اللهم صل عليه: اللهم ارحمه، ولا يزال في مصلاه ما انتظر الصلاة» رواه البخاري واللفظ له ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة». رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي.

يجب على المؤمن أن يكون مع المؤمنين وينضم للجماعة، ويتعاون معها على إقامة شرع الله ويشاركهم في الصبر والعمل والرحمة.

آداب المأموم

ندخل المسجد بيت الله بوقار وسمت إسلامي، ونهاجر كل ما يلهينا عن ذكر الله وعن الصلاة من الملهيات الدنيوية، ولا ندخله إلا ونحن على طهارة، ثم تكون نظرتنا إلى إخواننا نظرة رحمة ومحبة، فنحسن الظن بعباد الله، ونحرص على الصف الأول، استجابة لما روي عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا». رواه البخاري ومسلم.

نسعى إلى الصف الأول ما لم يتسبب ذلك في إيذاء المؤمنين المصلين وإلا الفضل كل الفضل في الصلاة مع الجماعة أنى كان.

ومن آداب المأموم أن يكون لنا في أيدي إخوانه، يساعد على تراص الصف حتى لا يترك الخلل للشيطان.

عن أنس رضي الله عنه قال: أقيمت الصلاة فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال: «أقيموا صفوفكم وتراصوا فإني أراكم من وراء ظهري» رواه البخاري ومسلم بنحوه.

وفي رواية للبخاري فكان أحدنا يلزق منكبه بمنكب صاحبه وقدمه بقدمه.

نصائح عملية

1. تذكر دائما قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ

فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿طه 74-75﴾.

2. إياك أن تستثقل الخروج إلى الصلاة مع الجماعة فتكون عاصيا لربك مطيعا للشيطان قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (الزخرف:62).

3. إنك تصدق صديقا لك يعدك بمنحة، ويضرب لذلك أجلا فترتقب حلول الأجل بكامل الشوق، ثم تتغافل عن موعد ربك، ولو تم تصديقك لوعده لسعيت إليه بكل قواك ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ (التوبة:111).

4. كن مومنا بعهد الله مصدقا باليوم الآخر متيقنا بالرحيل.

بسم الله الرحمن الرحيم

أين هي رابطة العلماء؟

(تتمة)

بقلم: عبد اللطيف جسوس

تتميمًا لما نشرناه على صفحات هذه المجلة الإسلامية الرائدة في عددها الرابع، وبناء على ما أشرنا إليه في العدد المذكور، يكون موضوع تتمة الكلام هو: حول توحيد الصيام والإفطار، هذا الموضوع الذي كلما أتى شهر رمضان المعظم إلا وكان هو حديث المجالس الخاصة والعامة، وما تكاد التعاليق تنتهي من حوله حتى تكون قد تجددت بحلول يوم العيد.

لوقام العلماء بواجبهم بإيمان وشجاعة لأراحو شعوبهم من هذه الفوضى والبلبلّة المتنافية والشريعة الإسلامية وما ترمي إليه من وحدة متراسة، لو نهض علماء الإسلام بأداء الأمانة الملقاة على عاتقهم، وجمعوا شتات شملهم، ووجدوا كلمتهم بأن لا يعبدوا إلا الله، لسهل عليهم مواجهة حكوماتهم، واستطاعوا توجيهها وفق شريعة الإسلام الخالدة، بدلا من أن تكون الحكومات هي التي توجههم وفق هواها، وهي على ما هي عليه من ارتداد عن الإسلام وتمسك بالجاهلية الثانية.

كل علماء الدول «الإسلامية» يعرفون أن الأدلة متوفرة والحجج كثيرة لتوحيد الصيام والإفطار، خاصة بعد أن أصبح العالم كله يعيش بعضه مع بعض، وكأنه في مدينة واحدة لتعدد مختلف أنواع الاتصالات الحديثة

والمباشرة سواء منها المسموعة والمكتوبة والمنظورة، فنسمع في إذاعة الرياض أو القاهرة: أن هلال رمضان ثبت ثبوتاً شرعياً، وغدا يوم فاتح رمضان إذن كيف لنا الإفطار في هذا اليوم، ونحن علماء أنه من أيام رمضان، بناء على رؤية إخواننا السعوديين والمصريين، والله تعالى خاطب الأمة الإسلامية عندما قال سبحانه: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة: 185)، وفسر العلماء شهد بمعنى علم أو حضر.

نعود للكلام على علماء الدول «الإسلامية» فنقول: إنهم في هذه المسألة وغيرها من المسائل خانوا الأمانة العلمية المنوطة بهم، والتي ما وجد العلماء إلا لأجلها، وهي بيان قول الدين وحكم الإسلام عندما يقع التنازع والخلاف في أمر يتعلق بالشريعة، ففي هذه القضية خانوا وتقاعسوا، كما خانوا واندحروا في قضية إلزام حكوماتهم وجعلوا الدين تابعا للسياسة، فسايروا الحكومات الجاهلية بأحكام الإسلام في شعيرة مهمة من شعائر الإسلام وركن من أركان الدين وهو الصيام، فتركوا المسلمين في فوضى واضطراب وבלبلة فكر كلما حل شهر رمضان.

هذا، وفي الوقت نفسه وما يدعو إلى العجب، أنهم يعلمون ويسمعون من رؤساء حكوماتهم في كل مناسبة عن فصل الدين عن الدولة، فلماذا لا يعاملونهم بمنطقهم على الأقل، ويقرّونهم على التدخل والتحكم في ركن من أهم أركان الإسلام وهو الصيام؟

لماذا لا يرفع العلماء أصواتهم في وجه هذه الحكومات ويعرفونهم بخروجهم حتى عن المبدأ الفاسد الذي ينادون به مرارا، ويصرحون به في مختلف المناسبات وهو فصل الدين عن الدولة؟؟؟ أحرصا منهم على صيام رمضان؟ وهذا لا يقوله أحد، لأننا نراهم لا يقيمون وزنا لرمضان ولا لغيره

من أركان الإسلام، بدليل «أكل» بعض الخواص والعوام لرمضان جهارا وفي مختلف المطاعم لهذه الدول «الإسلامية» أما بعض كبار المسؤولين فيتناولون حتى الخمر، كما شوهد ذلك في كبريات الفنادق وصهاريج السباحة «البيسينات» كما هو الشأن للعوام في الشواطئ العمومية، كل على قدر مستواه المادي. بلديات هذه الدول تزودهم بالماء العذب للشرب ولاستعمال «الدوش»، بل مرارا لم نجد الماء للوضوء في بيوت الله بدعوى قلة الماء وأن الحكومة مضطرة للتقشف، لكن في نفس الوقت يوجد الماء بتدفق وبدون انقطاع لآكلي رمضان جهارا في الشواطئ وصهاريج السباحة العمومية، وقد تكرر هذا المنظر المؤلم مرارا في كل صيف من هذه السنوات الأخيرة، كما نرى أن ليالي رمضان المعظم أصبحت موسما للتهتك والانخلاع عن جميع الالتزامات الدينية، والانسلاخ من جميع مظاهر الحياء وذلك في مختلف الدول «الإسلامية» كما يشاهد ذلك العلماء أنفسهم.

إذن يتبين من هذا أن سكوت العلماء في هذه القضية كغيرها من القضايا، هو مسaire حكوماتهم في أغراضها السياسية التي تستغل فيها الدين.

والعلماء يعلمون أكثر من غيرهم أن الحكومة في الإسلام ما هي إلا الحارس الأمين اليقظ على شرع الله، والمنفذ الحازم لأوامر الله، ولتعمل دائما -مهما كانت الظروف- لتسييس كافة برامجها وفق الدين، وتنطلق جميع قراراتها من الدين، وهي -أي الحكومة- كما عرفها ابن خلدون رحمة الله عليه: (حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدينية الراجعة إليها: إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشرع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة، فهي في الحقيقة -أي الحكومة- خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به).

إن سكوت العلماء عن الحق، وعدم بيانهم للناس ما أمرهم -الله به، ما جعلهم ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: 187).

وإلا فكيف يفسر مثلا سكوت علماء المغرب على هذه الفوضى في الصيام التي تحصل في كل سنة بعد قول الشيخ خليل في مختصره الذي ذكر فيه ما به الفتوى في مذهب الإمام مالك: (وعم إن نقل بهما عنهما لا بمنفرد) قال شارحه الشيخ الدردير (وعم الصوم سائر البلاد قريبا أو بعيدا إن نقل ثبوته بهما، أي بالعدلين أو بالمستفيضة عنهما) أي كما هو الشأن الآن عندما نسمع ثبوت رؤية الهلال من بعض إذاعات الدول الإسلامية، وهذا من معنى الاستفاضة كما فسرها العلماء. مع العلم بأن المغرب متمسك ومتشبث بمذهب الإمام مالك لا يخرج عنه قيد شعرة، لا في العبادات، ولا في المعاملات ففي المسجد، وفي عرفات يتعبد المغربي على مذهب الإمام مالك، وفي المحاكم طبعا في قضايا الأحوال الشخصية يتحاكم في مواريثه وأنكحته على مذهب الإمام مالك أيضا.

إذن فما بال العلماء سكتوا عن هذا كله واستسلموا للرأي الحكومة في جعل المغرب يصوم وحده؟؟ في حين أن بعض رؤساء الدول الإسلامية نادوا مرارا وطلبوا من العلماء أن يقولوا قولهم في هذه المشكلة التي تظهر مع كل هلال رمضان، وهي في الحقيقة ليست مشكلة، وإنما تحتاج إلى قليل من الشجاعة العلمية والنظر في قول الحق من الأحكام مع عدم مراقبة أي جانب غير جانب الحق.

المسألة من البساطة والوضوح بحيث لا تحتاج إلى اجتهاد ولا نقاش، فمذهب الإمام مالك واضح كما أسلفنا، وأما غيره فقد قال الشعراني وهو

من أعيان علماء الشافعيين في القرن العاشر الهجري، في كتابه الميزان، الجزء الثاني صفحة 16 المطبوعة الميمنية ما نصه: (واتفقوا على أنه إذا رؤي الهلال في بلد قاصية، أنه يجب الصوم على سائر أهل الدنيا) وهكذا نقل الاتفاق عن العلماء في موضوع توحيد الصوم والإفطار غير واحد من الأئمة بل أغلبهم وعلى كل المذاهب، ولم يقل باختلاف المطالع إلا عكرمة والقاسم وسالم، وإسحاق بن راهويه وتبعهم بعض أتباع الشافعي مخالفين لإمامهم وغيره من الأئمة الأعلام في المذاهب الأربعة، إذن فالقول باختلاف المطالع شاذ لا يصح العمل به وهو خارج عن اتفاق الفقهاء على اختلاف مذاهبهم.

إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال: صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته، وجه خطابه عليه الصلاة والسلام إلى الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها كسائر الخطابات الأخرى المتعلقة بجميع المسلمين، بدون فارق أبدا.

ثم إن القائلين باختلاف المطالع واتفاقها يزعمون أن ذلك راجع إلى خطوط الطول والعرض كما هو الشأن في الشروق والغروب، فيقولون مثلا كيف نتفق في الصيام مع السعوديين بالمدينة المنورة، ونحن عندما يكون عندنا العصر يكون عندهم قرب وقت العشاء إذ الفرق بيننا وبينهم ثلاث ساعات كما هو معلوم؟ وهم يجهلون أو يتجاهلون أن قضية الشروق والغروب لا علاقة لها تماما بقضية توحيد الرؤية وضرورة اتحاد المسلمين في الصوم والإفطار، بدليل أن خط العرض الذي يمر بطنجة هو غير خط عرض ورزازات وطرفاية، كما أنه من المعلوم أن وقت الشروق والغروب في الرباط والدار البيضاء ومراكش إلى آخره، لا يتعلق مع وقت الشروق والغروب في طنجة والامثلة أكثر من أن تعد.

القائلون باختلاف المطالع، يقول بعضهم كيف نصوم مع القاهرة وهي تفطر قبلنا بساعتين (وهو الفارق الزمني للشروق والغروب بيننا وبين

القاهرة)؟ فنقول لهم: ولماذا ما دام تفكيركم الضيق لا يتجاوز الحدود القومية الوطنية الملعونة المفرقة لشمل الأمة المسلمة، أهل وجدة سبقونا بالإفطار كذلك، ثم لماذا لا يتفق إفطارنا مع ورزازات وطرفاية؟ ولماذا نحن في طنجة نسبق الرباط والدار البيضاء بالإفطار؟؟...

بالأمس لما كانت علاقة الحاكمين بمصر طيبة مع حاكمي السعودية، كانت مصر تعمل برؤية السعودية، واليوم عندما اختلف الحاكمون في الرياض والقاهرة نرى مصر لم تعد تعمل برؤية السعوديين، ولا السعودية تعمل برؤية مصر، ولا يقيم أي منهما وزنا لرؤية الآخر، وهكذا أصبح التلاعب بركن مهم من أركان الإسلام حسب أهواء الحاكمين الشخصية ومصالحهم السياسية...

بالمناسبة نوجه الأسئلة الآتية إلى علماء الأزهر المحترمين:

ما هو الصيام الصحيح للمصريين؟؟ ومتى كان صيامهم صحيحا أفي الوقت الذي كانوا يصومون برؤية السعودية؟؟

أم صيامهم الآن، عندما لا يصومون إلا إذا رأوا الهلال في الحدود السياسية لمصر؟؟

ثم نوجه هذين السؤالين إلى كل علماء العالم الإسلامي وهما:

1. هل من الإسلام أن يخضع الدين لسياسة الحاكمين؟ ويتم تطبيقه حسب أهواء السياسيين؟

2. لماذا لا يقوم العلماء بواجبهم ويعملون على تدين السياسة؟ وهل يجوز لهم الصمت والاستسلام أمام تسييس الدين؟

راجين من علمائنا المحترمين بالمغرب، ومن كافة علماء العالم

الإسلامي الموقرين أن يقوموا بواجبهم فيجيبوا عن هذين السؤالين بكامل الوضوح ومنتهى الصراحة، ليكونوا قد أدوا الأمانة، وأرشدوا الأمة، ووجهوها ولم يخشوا إلا الله، قياما بما أوجب الله عليهم من توضيح وبيان دون خشية الناس، ودون أن يخافوا في الله لومة لائم، حتى يكون الدين كله لله، ولينطبق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العلماء ورثة الأنبياء».

هذا، وقد ألفت في موضوع توحيد الصيام والإفطار جماعة من كبار العلماء قديما وحديثا، فمنهم الإمام المجتهد العلامة الشهير قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي شوكاني شارح كتاب «نبيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار»، نقول له رسالة في الموضوع سماها: «إطلاع أرباب الكمال على ما في رسالة الجلال في الهلال من اختلال» وهي غير مطبوعة، والمحدث الحافظ فضيلة الشيخ السيد أحمد ابن الصديق، في كتابه «توجيه الأنظار إلى وجوب اتحاد المسلمين في الصوم والإفطار» وهو مطبوع بالقاهرة، العلامة والمحدث فضيلة الشيخ الدكتور السيد عبد الله بن الصديق في رسالته: «التنصل والانفصال عن فضيحة الإشكال»، وهي مطبوعة، كما لفضيلته رسالة جامعة في نفس الموضوع لم تطبع بعد سماها: «البيان المشرق في وجوب صوم المغرب برؤية المشرق»، كما ألفت في نفس الموضوع فضيلة المحدث الأستاذ العلامة السيد عبد العزيز بن الصديق رسالة مختصرة جامعة سماها: «وجوب اتحاد المسلمين في الصوم والإفطار»، وقد طبعت مرتين بطنجة، كما لفضيلة العلامة الأستاذ السيد علال الفاسي، رسالة مهمة في الموضوع سماها: «الجواب الصحيح والنصح الخالص عن نازلة فاس وما يتعلق بمبدأ المهور الإسلامية العربية» وقد طبعت في الرباط في رمضان سنة 1385 هـ.

إن هذه القضية قد أعطت للشباب صورة مشوهة عن الفقه الإسلامي

لأنهم يقرنون بين اتحاد الأجانب في أعيادهم في جميع أنحاء العالم، وبين تفرق وتشتت الموقف الإسلامي الذي لم يعد له أي مبرر الآن، في حين يرون المسلمين يختلفون اختلافاً مشيناً ولم يعد له أي مبرر الآن، بتقارب العالم سلكياً ولا سلكياً، ويرون هؤلاء الشباب، وهم معذورون لجهلهم بالدين، أن الدين هو الحامل على هذا الاختلاف، والداعي إليه، في حين أن الدين بريء من هذا الاختلاف براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام.

لهذا نكرر على صفحات هذه المجلة الرائدة اللوم على العلماء الذين لزموا الصمت وأغمضوا عيونهم عن هذا الاختلاف الزائف في مسألة توحيد الشهور في الوقت الذي صارت فيه وسائل الاتصال مع جميع أنحاء العالم سهلة متيسرة، الشيء الذي لم يبق لهم معه أي عذر في بقاء هذا المشكل، وما هو بمشكل كما بان واتضح، مع أن وظيفة العالم كما يعلم العلماء هي إزالة كل لبس، وكل شبهة، وكل ما لا يليق بسمعة الفقه الإسلامي وشريعته الغراء، وقد تطورت المسألة إلى أن صارت عادة طبيعية وإذا قام المسلم لمحاربتها يتدخل البوليس ليعتقل من خالفها، وكأنه ضبط متلبساً بجريمة، الأمر الذي يخالف حال عهد الاستعمار، أيام كان في المغرب ثلاث مناطق: المنطقة السلطانية المشهورة «بالداخلية» أي، الجنوب، والمنطقة الخليفة، أي الشمال، والمنطقة الدولية، وهي طنجة، ولكل منطقة عاداتها وتقاليدها، من يخالفها يقع تحت طائلة العقاب.

لهذا نجزم بأن هذه القضية هي سياسية أكثر منها فقهية، والدليل على هذا أن منطقة الداخلة لم تصم معنا في أول رمضان، وصامت قبلنا بيوم لأنها كانت تابعة للإدارة الموريطانية، فلما استرجعها المغرب خلال نفس رمضان 1399 هـ المنصرم، وكان المغرب قد تأخر صومه عن موريطانيا أصبح المشكل قائماً واتضح بأنه سياسي، بحيث أصبح أهل الداخلة في

حيرة أمرهم، لأنهم عندما أتموا الثلاثين، صمنا نحن في المغرب تسعة وعشرين فاضطر المغرب لأجل هذا أن يتبع موريطانيا في الرؤية، حتى لا يصوم أهل الداخلة 31 يوما. وهذه من مخلفات الاستعمار وبقية من تركته المشؤومة في التفرقة بين المسلمين، وجعله الحدود السياسية فيصلا بين شعب وآخر حتى في أحكام الشريعة مخافة تحقيق ما يدعو إليه الإسلام من توحيد يرهبه الاستعمار والصهيونية، حتى لا يعاد للمسلمين ما كان لهم من عز ومجد وسيادة على العالم.

بالمناسبة نطرح على العلماء المحترمين السؤال الآتي:

المغرب كما هو معلوم لم يسترجع الصحراء إلا بعد أربع سنوات، علما أننا لم نكن نعمل برؤية إخواننا المسلمين في الصحراء ولأنهم كانوا يبنون صيامهم على رؤيتنا، فما هو حكم الله في عدم صيامنا مع بعضنا في كل هذه السنوات التي قضاه إخواننا المسلمون بأقاليم الصحراء وهم تحت سيطرة الاستعمار؟ ومثل هذا يقال عن سائر المسلمين الموزعة خلف الحدود القومية الوطنية السياسية الملعونة من المحيط إلى المحيط.

هل وجب علينا القضاء أم الكفارة؟

أم لا يلزم منا شيء مطلقا لأن الصحراء لم تكن آنذاك تحت الإدارة السياسية للمغرب؟

وفي انتظار الجواب الشافي المزيل لكل شبهة والتباس نرفع تحية إسلامية حارة بكل إجلال وإكبار إلى كل علمائنا الملتزمين بالمغرب والمشرق وفي كل أنحاء العالم، القائمين بالصدع بالحق دون مهابة أو خشية من الخلق.

هذا، وحول محاكمة العلماء القائلين بالتوحيد، كنا أشرنا بأن

جماعة من العلماء المعروفين بإخلاصهم وعدم مدهانتهم تعرضوا لتعسف بوليسي بدعوى أنهم أخلوا بالأمن العام لصيامهم مع المشرق. وانتهت هذه المحاكمة الصورية بتلاوة (القاضي) المنتدب لهذه المحاكمة الغربية من نوعها «حكما» يقضي ابتدائيا على العلماء المذكورين ومن معهم بالحبس لمدة شهر مع إيقاف التنفيذ وغرامة مائتي درهم لكل واحد، وكانوا قد قضوا في السجن مدة خمسة عشر يوما، في نفس السجن المعد لضيافة مختلف المجرمين... إكراما للعلم، وتقديرا للعلماء، والقضية الآن بمحكمة الاستئناف بطنجة، وستعرض في جلسة أبريل 1980.

وفقنا الله لما فيه رضاه، هو أهل التقوى وأهل المغفرة، وهو ولينا ومولانا في الدنيا والآخرة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله في البداية والنهاية.

نحن معكم

أين ورثة الأنبياء في رابطة العلماء؟...

تعرضت المجلة في العدد السابق إلى مأساة العلماء أمام جاهلية الإدارة المعقدة أمام كل دعوة حق... وأمام كل سعي مبارك لتنوير الأعماق المظلمة... وهداية الإنسان إلى السبيل الأقوم على ضوء الشريعة الغراء وسنن الصحابة، والإعلام، والأقطاب الذين أضافوا إلى عبقرية الإسلام مناهج عالية في السلوك والتعامل، وفي ممارسة الحياة على أساس أدوار معلومة... وأهداف محددة على طريق الخير لا على هدى الهوى... وسخف العبث...

... وتعرضت المجلة من خلال مقال أخينا في الله السيد عبد اللطيف بن عبد الغني جسوس «أين هي رابطة العلماء؟» إلى إشكالية العلماء الموظفين المرضى عنهم، والعلماء البطالين (وتغاضيت عمدا عن لفظة العاطلين في مقابل لفظة الموظفين) المغضوب عليهم... وهي إشكالية تعددت منها الوجوه والملامح في أكثر من واجهة... وفي أكثر من مظهر...

فالمواقف الصادرة عن رابطة العلماء -الإطار الرسمي، المزكي لمواقف الإدارة- مواقف أقل ما يقال عنها أنها ضائعة وأنها مجرد أسطوانة مكررة عن أسطوانات الإذاعة والتلفزة وكثير هي المواقف الحاسمة التي لم تدل إزاءها الرابطة ببيان أو بلاغ للناس... وكثيرة هي مظاهر الشر والعفونة والغواية والتخدير والانحلال والإلحاد التي لم تدل في مواجهتها الرابطة بأي موقف... والجميع يذكر أحداث الشرق الأوسط ومعاهدة الخيانة بين السادات وبيجين ومنع إذاعة الآيات التي يرد فيها ذكر اليهود في مصر السادات...

وأحداث إيران والثورة الإسلامية...

وأحداث احتلال المسجد الحرام...

وحتى في القضية الأخلاقية المتعلقة بتاجر الأعراض اليهودي دافيد (كوكو) جاءت الرسالة... رسالة الرابطة لوزير الداخلية بعد الأحداث والظروف المتعلقة بها، وبعد صدور حكم المحكمة باردة باهتة... كانت مجرد تبرئة للذمة كما حاولت الرابطة أن تفعل... ومتاجر الخمر... وملاهي الرقي والفجور وأوكار الانحراف والشذوذ... تمنح لها الرخص ويؤمها على القوم ألا تستدعي منك يا رابطة العلماء حالة طوارئ.. إقامة القيامة... الاتصال بالمسؤولين فنحن دولة إسلامية يا قوم... ومن ثم إعلان موقف استنكار واحد ولو أدى الأمر إلى الصلب على سارية الظلم...

أما آخرها وأكبرها تجاهل عملية قمع العلماء بطنجة... فلماذا أيتها
الرابطة؟

الآن هؤلاء العلماء رفضوا أن يكونوا موظفين تابعين للرابطة وأبواقا
موازية لأبواق الإعلام.

أم أن الرابطة لا تدافع إلا عن المقربين وأهل الرحم...؟

أم لأن علماء طنجة الصديقين (عبد الله بن الصديق، وعبد العزيز ابن
الصديق) امتثلوا لأثر الصالحين -الساكت عن الحق شيطان أخرس-
فجأهروا بالحق ورفضوا الصمت عن مواقف الجاهلية. لذلك أوجه الكلمة
للرابطة فأقول: إن أحدا لم يعد يقبل أو يستسيغ وجود هذه الرابطة بالشكل
التي هي عليه...

وشكرا لأخي عبد اللطيف الذي أثار الموضوع وفسح لي فرصة التعقيب.

كما يوجه الشناء والدعاء للأخ عبد السلام ياسين الذي تضامن مع موقف
العدل فقال كلمة حق في آخر افتتاحية عدد «الجماعة» الرابع.

م.ب.س. طنجة

تعليق المجلة: يا علماءنا في الرابطة وخارجها، إننا نعذرکم إن افتقدتم
الفرصة لاتخاذ مواقف واضحة مما لامکم عليه أخونا في الله، ثم نعذرکم
ولا نسعی -معاذ الله- لمقاطعتکم. الفتنة دامية والمنهاج أضعناه والخطب
جلل. إنها أمانة ضيعت، وإن فرض الكفاية إذا قام به البعض سقط
عن الآخرين. فنحن مازلنا ننتظر منكم هبة حرة لما نعلم أن ضمائرکم

الشريفة أن نومها مغناطيس الفتنة فلن تلبث أن يبعثها باعث الإيمان في قلوبكم. أنتم دخر المستقبل فاستجروا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسوته وجهاده حتى تسمعوا كلام الله وخطابه الموجه إليكم تشريفا وتكليفا إن ارتفعت بكم الهمة لتلحقوا بسلفكم الصالح ممن قاموا لله: «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط». كتب الله لنا ولكم الغلبة على الهوى وشياطين الجن والإنس، المساجد تنتظركم والمنابر لترفعوا منها كلمة الحق. آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

شوكة الإسلام

(2)

أحمد الملاخ

كيف تم القضاء على شوكة الإسلام

أ- حركة التعريب «تابع»

في الماضي شن الغارات على الإسلام موظفون لدول أجنبية وعملاء حاقدون على دعوة الإسلام ومرتدون منعدمو الإرادة، لم يستطيعوا الوقوف مع تكاليف الإسلام الروحية والتزاماته الأخلاقية وسلوكه الاجتماعي، فارتدوا زي الانتماء الجغرافي واكتفوا بالوجه العلني لإسلامهم، وراتموا في أحضان تيار جاهلي ليخدموا مصالحه وبيتوا أفكاره ويدعموا وجوده.

تزعم هذه الغارات مستشرقون ألمان وانجليز وفرنسيون. وأنشأت دولهم دوائر خاصة بوزارتها الخارجية سمته انجلترا وألمانيا دائرة الاستشراق وسمتها فرنسا «قسما خاصا بتشجيع اللهجات في إفريقيا». ولعل دور فرنسا ومكرها وتمكن دعوتها من بعض العقول المغتربة من مثقفينا أكبر خطر هدد ويهدد استقلال الشخصية الإسلامية.

ذكرنا فرنسا وانجلترا والألمان ولم نذكر روسيا لأنها اكتفت في عصورها القيصرية بالاستحواذ على الأراضي الإسلامية واغتصابها ولم تكتشف هويتها ودعوتها «العالمية» «الإنسانية» إلا بعد الحرب العالمية الأولى بعد ثورة أكتوبر 1917. وأما أمريكا فقد اكتفت بتدخلها غير المباشر بواسطة

بعثاتها التبشيرية، كانت تنوب عنها «بريطانيا العظمى» إلى أن أثبتت وجودها في العالم كمنقذ لأوروبا المهتدة من طرف النازية والفاشيستية بالأمس، ومن طرف الشيوعية الزاحفة الآن. لم أذكر حتى الآن تلك الشعوب الصغيرة الأوروبية التي اقتسمت الميراث بعد ذهاب شوكة الإسلام لأنها لم تكن لها دعوى بل كانت تبحث عن موارد اقتصادية تدعم بها صناعتها الناشئة ورأسها الفتى. لعبت دورها كدول استعمارية وتقلصت حينما استقلت الشعوب ونادت بحريتها كأوطان ذات سيادة.

وارتكانا على دور أمريكا وروسيا الآن كقوتين عالميتين تتصارعان على اقتسام العالم والهيمنة عليه، وكدعوات ضالة جاهلية وعنيفة يفتح أمامنا آفاق الدعوة الإسلامية على مستوى العالم والإنسانية ويخرجها من العصبية الضيقة والفكرية المحدودة. الإسلام بين صليبية رأسمالية وصهيونية متعددة الألوان. ولا يمكن للإسلام أن ينهض إلا إذا أثبت وجوده كدعوة عالمية يتخطى الحدود المصطنعة، حدودا مادية ومعنوية تشل حركته وتشوه دعوته. أما انجلترا مهد الصهيونية وفرنسا زعيمة الوثنية فإن خطر الأولى يتمثل في تزويد الماسونية والصليبية والصهيونية، وخطر الثانية يتجلى في استمرار وجودها في إفريقيا المسلمة وتدخلاتها السافرة بواسطة عملائها في الحكم ومثقفها في الفكر والحضارة واللغة. لبنان، الصومال، التشاد، وسط إفريقيا، السينغال شعوب تضطهدها جنسيات فرنسية أخذت بطاقة تعريفها من باريز.

من هنا تلتقي «الثقافة» بالسياسة بل قل الاغتراب بالاستعمار. جهد الدول المستعمرة مع اجتهاد الدعوات الجاهلية. خصص قسطنطين أولوسكي (1899) أستاذ ماسنيون زعيم المغتربين من أبنائها تلامذة الجاهلين مليونين فرنكا (إذ ذاك) في تركته للشعب الذي يبادر باستعمال وتطبيق الحروف

اللاتينية. ووظفت ألمانيا في دار الكتب المصرية ولهام سبيتا (1880) لتشجيع اللغات الوطنية وسيطر الإنجليزي «وليم ولكوكس» 1862 على مجلة الأزهر فنشر نداء للعامية على صفحاتها. وتبنت هذه الحركة بريطانيا بواسطة موظفيها كالقاضي الإنجليزي «ولمور» 1901 الذي ألف كتابا «لغة القاهرة».

«الشجرة يجب أن يقطعها أصحابها»

سلمت الراهية إلى العرب القوميين، راية فصل اللغة عن القرآن، جريمة فصل وسيلة التبليغ والبيان عن مضامين الرسالة، جريمة فصل منطوق العبارة عن مضمون الدعوة. ولم تكن هذه الجريمة هي الهدف بل هناك مخطط محكم يسعى لضرب الأمة في مقوماتها حتى يتسنى له القضاء على شوكة الإسلام في القضاء على مفهوم «الخلافة» ولو كانت صورية.

إن فصل اللغة عن القرآن جريمة نندد بها، لكن لن ننغلق في مفهوم «القومية العربية» التي تجعل اللغة والثقافة والتراث العربي هدفا تجند له الطاقات والأفكار. اللغة العربية وسيلة بيانية وبلاغية لروح الدعوة الإسلامية، بيانها وبلاغتها عاملان لمساعدان لنشر رحمة الإسلام وحكمته.

القوميون العرب جعلوا من اللغة العربية عاملا موحدا لشعوبها لكن هذا العامل المشترك ما فتى أن مزقته نعرات وطنية حين انفصل عن سمو دعوة الإسلام وسقط في العصبية اللسنية.

في مصر نشأت نعرة وطنية فرعونية تزعمها «أستاذ جليل» المصري الذي جند الاستعمار كل قواه للدعاية له. حمل دعوة لطفي السيد هذا تلميذه لويس عوض، فدعا من بعده إلى ترجمة القرآن للعامية معترفا بأن القرآن كتاب يؤمن به الشعب لكن يجب أن يقرأه الشعب بلغته لا بلغة أخرى. وسلامة

موسى ما هو إلا مجدد لدعوة ولكوكس الإنجليزي الذي دعا إلى العامية. فهو حينما يلاحظ أننا نكتب اللغة الفصحى ولا نتكلم بها يصف واقعا يريد تكريسه حتى تبقى لغة القرآن المبينة منعزلة عن لغة التخاطب وحتى يتسنى لأعداء الإسلام عزل القرآن عن حياة الشعوب التي ما زالت تتفاعل مع بيانه وقوة بلاغه. ظهور العامية والدعوة إليها عزل اللغة العربية عن الحياة الاجتماعية وجعلها لغة العبادة والتبتل كما حدث للغة اللاتينية. عزل اللغة عن القرآن هو القضاء عليها بالمرّة. ولن تحي ولن يكون لها وجود عالمي إلا إذا ارتبطت بدعوة الاسلام.

لم تلق هذه الدعوة آذانا صاغية لكنها لم تمت، فاتخذت لونا جديدا، وأحدثت شعارا لضرب كيان الأمة الإسلامية. هذا الشعار هو «تسهيل اللغة» وتبسيطها. دعا لذلك أنيس فريجة أستاذ اللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت حينما نادى بترك الفصحى والاستعاضة عنها بلهجات عامية وكتابتها بالحروف اللاتينية. ودعا القاضي المصري؟ إلى تقليص الأحرف العربية. ودفعت أمريكا المهندس اللبناني نصري خطار إلى نفس الدعوة. كما استفعل من بعدهم فرنسا في شمال إفريقيا بظهيرها البربري.

رأينا سذاجة العرب القوميين حينما جروا وراء سراب توحيدهم على اللسان القومي العربي. لم يفتنوا المكيدة الاستعماري، ولم يهتدوا إلى عناصر قوتهم واستمرار وحدتهم. عزلوا اللغة عن دعوة الإسلام فانفصمت عرى وحدتهم ولم تصبح لغتهم واحدة موحدة بل أصبحت لهجات مفرقة. واستغل الأجنبي هذا الوضع لإضعاف شوكة الإسلام التي كانت تتمثل في العنصر التركي.

في الدولة العربية التي وعد بها التدخل الأجنبي برزت دعوات وطنية

كأنها رؤوس الشياطين. العربي المصري، العربي اللبناني، العربي السوري، أو العراقي أو الحجازي... في وحدة وهمية ضد العنصر التركي قوت دعوتها القومية نفس الدول بنفس المخطط.

هدف المخطط هو القضاء على مفهوم الأمة حتى يتسنى له القضاء على مفهوم الخلافة. بالقضاء على الأمة في القاعدة والخلافة في القيادة هان تحقيق باقي المخطط من تشويه معالم الحياة والعقيدة والتاريخ، ومن تغريب الأجيال وقطعها عن مقوماتها بإحداث فراغ فكري وروحي تنعدم فيه الشخصية الإسلامية وتسهل به التبعية والتلمذ للجاهلية الغازية وإعداد القيادات الموالية للشرق أو الغرب.

ب- التعريب والتريك:

المخطط يهدف إلى إضعاف العناصر المكونة للقوة المرهبة والطريقة بسيطة للغاية: خلق اهتمامات عصبية عنصرية في الداخل وتجنيد حساسيات جاهلية تتناحر على وعود معسولة: تكوين «ملكية عربية» في مواجهة «ملكية تركية». ملهاة تراجيدية بلدت شعور الممثلين والمتفرجين بينما أجزاء من العالم الإسلامي تغتصب.

لم يكن قصد إذكاء هذه النعرات إعطاء اللغات القومية نفسا جديدا يخرجها من كبوتها لكن ضرب الشخصية الإسلامية الاجتماعية حتى يتسنى لمن تخدمه هذه الحركات القضاء على وجود الإسلام العالمي الذي كان يهدد انتشار الدعوات الجاهلية من ماسونية وصهيونية، ويقف حجر عثرة وقوة مرهبة في وجه الأطماع الاستعمارية التي بدأت عودها يصلب وقوتها تتجمع لتشن غاراتها المتعددة الأشكال على العالم الإسلامي.

فالدعوة إلى الدفاع عن اللغات القومية ثم الانغلاق حولها تشتيت

للأمة الواحدة وتمزيق للأسرة المتحابة وقطع لعلاقة شعوب إسلامية نهائياً بشعوب إسلامية أخرى. هذه وسيلة ثقافية مسالمة ممهدة للوثبة العنيفة في احتلال الأرض واستغلال الطاقات المادية والبشرية. القضاء على وحدة المسلمين مهمة السياسة العالمية والقوات المسلحة الاستعمارية.

تظافرت جهود البعثات التبشيرية والصهيونية مع عناصر أجنبية عن روح الدعوة الإسلامية وأخرى ضيقة الآفاق ساذجة التفكير منعدمة التربية في جو اكتنفه الغموض وعمته الفتنة في الحكم حينما استبد الحاكم وطغى، وفي الدعوة حينما تملقت وناققت وأحجمت عن ميدان الجهاد. فكيف لا يمكن لشعوب سكت علمائها عن الحق أن تنساق وراء دعوات ضالة تمنيتها «بالغد الأفضل والعيش الكريم»؟!؟

اعتقد الأتراك لما تجمع العرب في قوميتهم أن اللغة تمثل الرابطة الحقيقية، وأن في إمكانهم أن يصنعوا وحدة قومية تربطهم بإخوانهم في اللغة والدين، أصبحوا تحت السيطرة الأجنبية وفي ظل الحكم القيصري الروسي. فمن جهة كان التريك رد فعل منطقي على التعريب ومن جهة أخرى لما تخلت العناصر المكونة للمجتمع الإسلامي الموحد عن الدفاع عن المسلمين كيفما كان عرقهم أو لغتهم انتظمت العرقيات للدفاع عن كيائها فتعلق كل طرف بعصبيته.

شجعت هجرة الأتراك، مثقفين وغيرهم، من العنف القيصري إلى بلدهم الأصل الاتجاه الطوراني عند بعض الفارين من الغزو الأجنبي. وكان في مقدمتهم الكاتب التتاري ضيا كوك. والطورانية دعوة إلى تجميد العنصرية التركية وإبرازها وإعلاء شأن الجنس التركي فوق الأجناس تماماً كما دعا بعض القوميون العرب. والطورانية تختلف كل الاختلاف عن فكرة الوحدة العثمانية التي دعا إليها بعض مفكري الإسلام الإصلاحيين. فهي تهدف إلى توحيد الأجناس المختلفة في الدولة في أمة واحدة على أساس المساواة بين

الجميع التي يدعو إليها الإسلام. لكن الغموض السياسي والفتنة الفكرية والمكر الأجنبي حمل العرب على عدم الثقة، لأن فكرة الوحدة العثمانية تعني بالنسبة إليهم التخلي عن «مقوماتهم الفكرية العربية» ولا يعقل أن «يترك» العرب من أجل الوحدة.

فعدم الوضوح المقصود أدى إلى فقدان الثقة بين الطرفين، فأنشئت الجمعيات السرية التي تساعد على التدليس والكيد والخداع، ثم إلى الهجرة من ميدان العمل الملتزم إلى العواصم الأجنبية. ثم نشأت جمعيتان سريتان «القحطانية» و«جمعية الفتاة العربية» هدفهما تحويل «الخلافة العثمانية» إلى «مملكة ذات تاجين» في ظل «إمبراطورية تركية - عربية» السلطان العثماني في القسطنطينية على رأسه تاجه التركي والسلطان العربي في مكة وعلى رأسه التاج العربي. كان أسلوبهم الذي يجمل تناقضا خطيرا هو: الوصول إلى الوحدة عن طريق الانقسام. هذا الأسلوب الذي ما زال يسيطر على عقول القوميين العرب. تحقيق الوحدة العربية مع الإبقاء على تعدد مقوماتها.

دام شهر العسل وقتا قصيرا كما يدوم دائما كل تحالف أو تكتل بعيد عن روح الإسلام، وكما يحدث «للزواج الكاثوليكي» بين الأحزاب السياسية في الأوطان العربية لأنها تحمل في ثناياها جرائم التفرقة ﴿مَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ (الحشر: 14).

ظهور الطورانية جعل التقارب التركي - العربي مستحيلا. ومن المؤسف أن يكون رواد الدعوة إلى الوحدة تلاميذ لفكر أجنبي، كانت باريس مكان تأسيس هذه الجمعيات وتكوين أفرادها. السبعة المؤسسون «الجمعية الفتاة العربية» ورواد التريك كلهم تلقوا تكوينهم من المفكر الفرنسي إبراهيم شناس الذي عاد ليتولى إدارة التربية والتعليم ثم ليصدر جريدة «ترجمان الأحوال» هو زعيم حركة الترجمة، نامق كمال وعبد الحق حامد

الذين اعتمدوا على الموضوعات الكلاسيكية الفرنسية. أحمد جودت الذي مجد اللغة التركية على حساب العربية في كتابه «نوائي». وهكذا برز للوجود أدب قومي تركي ودراسات تاريخية قومية تدافع عن عصيتهم . فمجلة «توك بوري» (الوطن التركي) المعبرة عن آراء جماعة «المتوقد التركي» كانت تهدف تقوية هذا الشعور عند قرائها. ولا عجب أن نرى الآن مجالات تشم منها رائحة البترو-دولار تسمى نفسها «الوطن العربي»، «المستقبل العربي» وتنهج نفس النسق وتصدر من نفس العاصمة.

وإذا كانت الفكرة القومية لم تستطع أن تبسط سلطانها المطلق إلا في تركيا «الحديثة» التي أنشأها أتاتورك الكافر دولة منكمشة على نفسها منقطعة عن الدول الإسلامية الأخرى، كما استطاع رائد الهزيمة العربية في مصر أن يعزل العرب عن حمل رسالتهم المفتحة على العالم، ودشن عصرا قوميا ما زال يتميز حتى الآن بالصراعات الداخلية والتعصب الطائفية وإذا كانت الفكرة القومية نبتت في عهد الخلافة العثمانية ثم ترعرعت ولا تزال، فإن طابعها العام سواء في عنفوانها أو أوج عزها هو الضيق والعنف والتبعية، إن لم نقل السداجة والتواطؤ. من تخدم مواقف القوميين العرب المخزية؟

خشيت بريطانيا إعلان السلطان العثماني الجهاد ضدها في الخليج و عدن وفي اليمن والسويس، خشيت من إثارة العرب والشعوب الإسلامية ضدها، وهي التي أدركت أهمية الرابطة الإسلامية لما جربته في الهند فعمدت إلى تشجيع العرب على الانفصال عن العثمانية طمعا في كسبهم إلى جانبها. العرب القوميون يتواطؤون مع بريطانيا في القضاء على شوكة الإسلام مع أن غايتهم تختلف. الماكر الكذاب يسيطر على الطامع المتملق.

فلا يمكن للإسلاميين في تناولهم لحركة التعريب والقومية أن يسكتوا

عن مسؤولية القوميين العرب ورثة الخواجات المبشرين عملاء التدخل الأجنبي القديم على شكله الجديد، الذي يهدف التغريب بخلق ولاءات للشرق والغرب لنفس الغاية.

ج- القومية:

عندما نتكلم عن القومية لا نعني بها فقط ذلك الاستعلاء الجنسي الذي تزعمه أتاتورك وهتلر وموسليني ودعاة الصهيونية فقط، وإنما كل حركة أرادت أن تضع لنفسها حدودا وتخلق لنفسها مجالا ضيقا وترضى لنفسها بأهداف أرضية. والوطنية درب من دروب القومية أكثر ضيقا وأشد تزمنا. كانت مسيرة العرب المسلمين مع دعوة الإسلام تجاوزا للعصبيات والحدود الإقليمية وارتفعا بالبشرية إلى مستوى الأدمية، وشحذا للهمم الإنسانية إلى استحقاق التكريم فالاستحقاق في الأرض. وهكذا كان الانفتاح على العالم من باب الرسالة الفسيح. لكن هبوطهم وترديهم في حمية الجاهلية جعلهم يرحلون من سعة الرحمة إلى ضيق الأفق. وما زال تقهقرهم مستمرا حتى الآن. فإذا كان التدخل الأجنبي ساعد على إبراز جاهلية العرب التي لم يستطع الملك العاض أن يخرجهم منها، فإننا نشاهد الآن في قياداتنا المتعددة ترديا خطيرا، ترديا إلى الوطنيات فالعصبيات الإقليمية التي قضت على الوحدة والأمل فيها.

القومية قضت على الوحدة الإسلامية، قضت على مفهوم الأمة، وقضت بالتالي على الجانب القوي في الخلافة العثمانية فكانت النتيجة الاحتلال والاستعمار. وحينما ارتفع هذا الكابوس بقيت المواجهة بين أبناء القوميين. لا يكفي أن نحمل كل أعبائنا ومتاعبنا للاستعمار. المواجهة الأيديولوجية عند مثقفينا والمسلحة التي تذهب ضحيتها الشعوب الإسلامية والتي تنمي في أفرادها حزازات خطيرة تتوارثها الأجيال لتقضي على كل أمل في الوحدة

يتحمل مسؤوليتها القوميون والوطنيون. لا حل للفرقة والتمزق والهوان التي يعيشها العرب إلا بالسمو إلى أفق الإسلام، والتخلي عن التردّي في الجاهلية والوثنية.

إننا لا ننادي بقومية إسلامية في مواجهة القوميات الأخرى لأن القومية عصبية. إن دعوة الإسلام عالمية لا تؤمن بالحدود المصطنعة ولا الدول المصطنعة. فدار الإسلام ليس تكتلا ولا كنفدرالية وإنما قاعدتها كل بقعة من العالم تقام فيها مؤسسات الإسلام الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وكل بقعة يرتفع فيها الأذان للصلاة وترتفع فيها الأصوات... منها أصوات المؤمنين تنادي برفع الظلم أو الاستغلال.

وجود دولة أو اتحاد إقليمي يعلن عن هويته الإسلامية الحقيقية الملتزمة بحدود الله وإقامة العدل، واستعمال الجهد كل الجهد في خدمة رسالة الإسلام وفرضها كدعوة عالمية ما هي إلا مرحلة تمهيد لإقامة «الخلافة الإسلامية» أي توحيد القيادة التي تعيد للأمة كيائها وتصوفها من عبث المغترين وكيد الطامعين.

شوكة الإسلام تعني وجود الأمة الإسلامية الواحدة لا الشعوب الإسلامية المتعددة والمتفرقة، وتعني كذلك وجود قيادة موحدة (بفتح الحاء وكسرهما) لا وجود قيادات متفرقة متناحرة في مذاهبها وعلى مصالح. ظهور شوكة الإسلام يعني وجود الإسلام في العالم وإثبات عالميته بصلاحيته حلولة لمشاكل العصر، وتوحيد شعوبه على علاقتها ريثما توجد القيادة الموحدة القادرة على إعادة تكوين وتربية الأمة. وتعني كذلك إعطاء الفرصة للقيادة ذات الإرادة الصادقة في الاستقلال عن الجاهلية وفي رفع لواء الإسلام والخروج من الانتماءات الجزئية أو الطائفية أو الوطنية أو القومية لترفع همته إلى مستوى الرسالة العالمية التي تهدف الإنسان أينما وجد دون الالتفات إلى العصبية.

إذا كان لظهور الوطنيات مبرر وهو وجود الأجنبي على الأرضن وإذا كان للوحدة العربية حافز وهو وجود الصهاينة على أرض فلسطين فإن الوطنية لم تستطع أن تطرد الاستعمار من الأفكار وهيمنتته على الحكم والاقتصاد، وإن تمكنت من إجلاء الاحتلال الظاهري على الأرض ولم تستطع القومية العربية أن تتوحد لمواجهة الصهيونية بل حولت مدافعها لاستمرار التمزق والعصبيات نحو أبناء الوطن الواحد. لقد أثبتت فشلها منذ ما يقرب من قرن في تحقيق الحد الأدنى من أهدافها ألا وهي الوحدة. وأنى لها ذلك!

بدأت هذه العصبيات بحركة الشعبوية في صدر الإسلام، واستغلها الأعداء للدعوة إلى الحضارة العربية المفصولة عن الإسلام الذي لا يكون حسب ادعاءاتهم إلا عنصرا منها. حملت شعار توحيد العرب على أساس اللغة والأرض والعرق. هناك دسائس مأكرة تريد خلق حساسيات لغوية أخرى ودعوات قومية ضيقة وظيفتها تهيئة الجو المساعد على التدخل الأجنبي وخلق وطن قومي للصهيونية باسم مبدأ القومية التي حملتها أوربا الغازية الاستعمارية والصهيونية العالمية. المنطق القومي يسلم بحق المطالبة بالموجود الشعبي والكيان القانوني لأي عنصر بشري في التعبير عن مقوماته القومية والحضارية وممارسة حقوقه السياسية دون اضطهاد. والمنطق القومي «المسلم المتسامح» يسلم بإنشاء دولة عربية يهودية ريثما يتم لها التمكن لتبرز بوجه عبراني صهيوني. التسامح والتعايش انطلقا من موقع الضعف يؤدي إلى الهزيمة فالاستسلام. صانع هزيمة حزيران؟

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 139)
صدق الله العظيم

إنه الإيمان بالله واتباع رسول الله، يا عرب يا قومون!

الله الذي أذهب عنا الحزب وأخرجنا من حمية الجاهلية.

رسول الله الذي جاء بالإسلام ليخرج الإنسانية من جور الأديان إلى عدل الإسلام.

إن منطق القومية الذي ورثه قادتنا الثوريون، زعماء النكسات والاستسلامات لن يخرجنا من الوضعية التي تردينا فيها. إنه التحرر الإسلامي في نطاق دعوة عالمية إرادية متجددة مقتحمة لكل العقبات، قاصدة وجه الله.

لم ولن تغني عنا أموالنا ولا ثرواتنا ولا أعدادنا من بأس الله شيئا ما دمنا بعيدين عن حكمه وشريعته. ظل وسيظل بأسنا بيننا شديدا، نحسب أنفسنا جميعا وقلوبنا شتى، رحماء مع أعدائنا أشداء بيننا، منا القاتل والمقتول ما دمنا عربا قوميين ملحدين أو منافقين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: 73)

صدق الله العظيم

دخلت الشعوب الإسلامية في عصر الملك الجبري حينما دعت إلى استقلالها الذاتي، ونظرت إلى مقوماتها على أنها تراث وحضارة وطنية يرجع أصلها إلى ما قبل الإسلام. ورث الملك الجبري انحرافا في الحكم وفي تطبيق عدالة الإسلام. لكنه زاد عليه ضياع الوحدة الإسلامية المتجسدة في وجود الأمة لا الشعوب الإسلامية ثم في ذهاب «الخلافة» التي كانت تمثل شوكة الإسلام. عهد تضافرت عليه كل عوامل التعرية فأصبح الجسم المريض الذي تربص الاستعمار موته لتقسيم تركته.

الجامعة العربية:

من الصراع بين التتريك والتعريب والتي كان المقصود منه القضاء على اللغة العربية نفسها بفصلها عن القرآن إلى صراع أقوى وأشد، صراع بين فكرة الجامعة الإسلامية التي كان من ورائها علماء مسلمون وإرادات الجمع بين عناصر الأمة الإسلامية حتى تكون قوة في وجه الأعداء المستعمرين والمحافظة على الأرض الإسلامية واللغة العربية، لغة القرآن، وكرامة المسلمين وبين فكرة الجامعة العربية التي خطط لها المستعمر الطامع المستغل، وتواطأت معه عقول مجرمة استطاعت أن تبهر وتغري عقولا ساذجة سايرتها دونها وعي في تنفيذ مخطط إنجليزي-صهيوني.

وفي خضم هذه الفتن، ظهرت محاولات للدعوة التي انفصلت عن الدولة، والتي تمثل رصيذا فكريا في مجال السياسة للخروج بالعالم الإسلامي من المشاكل التي أوقعه فيها الاستعمار، ومن الظلم الاجتماعي الذي تئن تحته الأمة والذي تمارسه عليها السلطة الحاكمة.

وفي خضم الفتن والظلم والاستبداد والغزو الأجنبي ظهرت نظريات سياسية حاولت الاجتهاد لزمناها في ظروفه هذه لدفع حكامها إلى حل إسلامي، يقيم العدل في المجتمع ويدافع عن وحدة الأمة ومكتسباتها. هذه النظريات تمثل من جانب رصيذا مهما في الفكر السياسي الإسلامي، ومن جانب آخر ثقلا ثقافيا حينما يستغله البعض لتبرير مواقف المخزنية. وإذا نحن لم نستطع أن نتجاوزه لنضع منهاجا إسلاميا شاملا ومتكاملا في جزئياتها، منهاجا في الحكم قادرا على حل مشاكل عصرنا بكل معطياته ومفارقاته فستعثر الدعوة إلى غير غاية.

فبمقدار ما نجل من سبقونا بإيمان وبقدر ما نقدر اجتهاداتهم وبعده

نظرهم بقدر ما نستقل عنهم في رؤيتنا للمستقبل الذي نريد بناءه. فإذا تكلمنا عن الماوردي وأبي يعلى وإمام الحرمين وأبي يوسف والغزالي فهذا لا يعني أن الفكر السياسي الإسلامي يجب أن يقف عندهم، وإذا عرضنا لدور الصوفية في حركة التغيير أو الوهابية في حركة الإصلاح أو جمال الدين ومحمد عبده في الدعوة السلفية والجامعة الإسلامية، فإن هذا لا يعني تبنينا لأسلوب من الأساليب التي لعبت دورا ما في زمن ما. وإذا كان دفاعنا كما يبدو لأول مرة عن الخلافة العثمانية حينما نبين أخطاء القوميات في مساعدة المستعمرين على تخريب الوحدة الإسلامية وفي فلهم في تحقيق هذه الوحدة داخل الجامعة العربية ومؤتمرات حكوماتها للتصدي للعدوان ورفع الإهانة عن شعب فلسطين وحل مشكل القدس فإن هذا لا يعني إقرارنا لمشروعية الحكم المبني على الوراثة والتسلط والاستبداد.

إن أفقنا موعود الله: الخلافة على منهاج النبوة.

نقول موعود الله ولن يخيفنا الإرهاب الفكري حينما يقال هذا تفسير غيبي أو ميثافيزيقي.

أما كيف يتم توحيد المسلمين؟ كيف يتم تحقيق الخلافة على منهاج النبوة؟ كيف ومن يمثل «شوكة الإسلام» في وقت تشرئب فيه أعناق المسلمين إلى أرض ينطلق منها نداء التحرير الحقيقي للإنسان المسلم المهان ثم للإنسان، الإنسان المعذب، وفي وقت تحن فيه أفئدة المؤمنين إلى قيادة مثالية تضرب المثل للنموذج القيادي الجهادي لتوحيد العالم الإسلامي؟ أما كيف يتم هذا فإنها مهمة من رفع الله همته لهذا الدور الخطير على مستوى الإنسانية. لا يكفي لوم الأجداد على أخطائهم. ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111).
-صدق الله العظيم-

العالم الإسلامي اليوم يبحث عن نفسه. إنه أكثر الشعوب حركة وحيوية، هذه الحركة والحيوية إنما هي تعبير عن إرادة شعبية تلقائية تتلخص في المطالبة بالحكم بما أنزل الله. بعض القيادات العربية تسائر هذا الاتجاه محافظة على الشعور الإسلامي المتأصل لدى الشعوب المضطهدة، وأخرى تمكر بالمسلمين وتكيد لهم وتنصب لهم الشرك داخل بلادهم وخارجها، فتجد القضاء والجند للتصفية العنيفة في المحاكم والسجون وعلى الحدود، وتنشئ مجالات البترو-دولار لتبرز على صفحاتها «بطريق العرب» بجانب آيات الله وتمجد أفكار المارونيين والماسونيين.

الشعوب الإسلامية في قاعدتها تحن إلى عودة عز الإسلام ووحدة الإسلام واختفاء الحدود المصطنعة بين الدول الإسلامية. تستفزها الآن القوة الصهيونية باحتلالها الأراضي المقدسة ويستفزها أكثر من ذلك ابتعاد حكامها عن شرع الله، وسلوكهم المائع وضعف وهوان وتفارقة العرب وعدم قدرتهم على توحيد الصف في نطاق الالتزام الإسلامي، ويذكي في نفوسها التضحية والتضامن ما تعانيه من اضطهاد وإبادة. القرع الإعلامي الموجه يستطيع أن يجعل من بعض أفراد الشعب ضحايا غير واعين لما يجري من أحداث لكن الغبش لا يدوم طويلا. ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ (هود:81). أليس صبح الإسلام قد بزغ؟

إن شعار القومية العربية المبرر لوجود القيادات المعادية للإسلام على رأس أمور المسلمين وشعار مناهضة القوة الصهيونية.. للقومية الصهيونية العالمية لم يعودا قادرين على طمأنة الشعوب العربية -الإسلامية، بل زاد في عدم وثوقها بكفاءة وحتى إخلاص قياداتها لقضية المسلمين خصوصا، وأن فضح المؤامرات أصبح من اختصاص القادة «المهرة» الذين جندوا طاقتهم لهذه المهمة «الخطيرة».

إن قوة الصهيونية العالمية وبأس الامبريالية وكيد الشيوعية لم تكن لتصمد أمام شعب مسلم بقيادة إرادة ملتزمة تبلورت في شخص إمام شيخ ورجال ملتحمين ومعممين. القوى المعادية للإسلام لم تنحدر بعد، لا في داخل إيران ولا على حدوده ولا حتى في الساحة العالمية. إنها تلفظ أنفاسها على الأقل في هذه البقعة التي ظلت مقطوعة عنا نحن الإسلاميين والتي استطاعت الدعاية المغرضة أن تلفق حولها الأكاذيب وتنسج حول الإسلام المتحرر أساطير أخرجت من بطون الكتب المدسوسة والبدع الجاهلة.

أعداء الإسلام بالمرصاد لكل وجود فعال وإيجابي للإسلام المتحرر. كان هذا أثناء الخلافة العثمانية. من ساعد المستعمر على احتلال مصر والجزائر أيام الخلافة العثمانية؟ ألم يكن محمد علي ممهدا للاستعمار الجزائري مقابل توطيد إمبراطوريته العربية إن حارب العثمانيين؟! ومن ساعد الإنجليز والإيطاليين في محاربة السنوسيين في ليبيا؟ من ساعد على القضاء على عمر المختار؟ من حارب المهدي السوداني الذي تمنى جمال الدين الأفغاني أن ينضم إلى حركته في آخر حياته بعدما فشل تحقيق هدفه: الجامعة الإسلامية؟ من حارب حركة محمد بن عبد الوهاب التي ثارت على الظلم والخرافة والفساد؟ لا يعيننا هنا سرد الأحداث ولا محاكمة المجرمين بقدر ما يهمننا أولاً وقبل كل شيء فهم إرثنا المتخلف القومي. متى تمكن الاستعماريون من تحقيق مخططاتهم؟ أفي زمن الخلافة الصورية الظالمة التي كانت تمثل آخر ما وصل إليه تقهقر الحكم زمن الملك العاض؟ أم في زمن القوميات «التقدمية الثائرة» التي تمثل حضيض الدرك الأسفل الذي تردت فيه القيادات زمن الملك الجبري؟ ولى عهد الاستعمار وحل عهد الهزائم والاستسلام. عالنا العربي يعيش في جو سحري يسيطر فيه من استطاع نظم رقصة تراجيدية على جثث الأموال ليتغنى ويذكر الأجداد، ومن استطاع أن يتقن البهلوانيات «بالكادجتات» العصرية ويمسح التعزيمات ليوهم الناس

بالحل الوهمي جريا وراء سراب الوحدة العربية التي لم تتحقق قبل الإسلام ولن تتحقق دون الرجوع إلى حله الأوحد.

إن هناك حركة ماكرة دفعت إلى قتل عمر الفاروق في المسجد، وعثمان ويده المصحف، والإمام عليا وهو في ميدان الجهاد، وعمر بن عبد العزيز وهو يعيد بناء الخلافة، ويقضي على جذور الفتنة في الحكم وعلى عروق الظلم برد المظالم لبني الدولة على قواعد العدل والإيمان وسممت صلاح الدين وهو يطرد الصليبيين عن بلاد المقدس، وقتلت حسنا البنا وهو يقاوم الظلم والفساد والاستبداد ويضع لبنة الدعوة الصادقة المربية، وسيد قطب وعبد القادر عودة وهما يناديان بأن لا حاكمية إلا لله. إن هذه الحركة من ورائها نفس اليد التي حاولت تسميم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي لا تزال تكيد بالمسلمين بمختلف أنواع المكر. هدفها فصل الدين عن الدولة، ثم تقليصه الأمر الإسلامي من المجال العالمي إلى إطار قومي فوطني وشريعة الله ودينه من معانيها الشاملة المهيمنة على حياة المجتمع فجعلها مسألة ذاتية...
تهم «حرية الاعتقاد» تماما كما فعل بالمسيحية.

نسمع في بلادنا العربية إحداث مجلس أعلى للشؤون الإسلامية تتجمع فيه كل الجمعيات الإسلامية لتضع خطة للدعوة شريطة أن لا يكون «دين في السياسة... ولا سياسة في الدين»، ونفس الاتجاه نقرؤه عند رواد القوميين: «عندما نتحدث عن الدين والتراث باعتزاز، يجب أن نفهم أن فلسفتنا ليست التراث ولا الدين بحد ذاتيهما» إننا، يقول الكاتب: «نحذر من أن نتحول إلى رجال دين في علاقتنا بالشباب وبممارستهم الاجتماعية والخلقية مما يجعلنا نحول صيغ التعامل معهم وننقد بعض تصرفاتهم...»، ولا ينبغي أن ندخل معركة سياسية بصيغة من هو مع الدين ومن هو على الدين».

وهذا موقف خطير هدد ويهدد وجود الإسلام. ولعل صاحب القولة الأولى حكم على نفسه بنفسه، فكل مواقفه انهازمية استغلالية. لكن كيف يمكن أن تتخذ الرؤية عند السادات رائد القومية الرجعية وصادام حسين رائد القومية التقدمية في أحداث حلتها الروسية؟ لماذا تتكاثف الدعايات ضد الحركة الإيرانية من زعماء مصر وقادة العراق؟ لنسأل «القوميّات التقدمية المناهضة للظلم والاستبداد المتزعمة للتحرر والانعتاق»: ما مصلحةكم في إيقاظ نار الفتن العنصرية على حدود حرر شعبها من الظلم والاستعباد حينما طردت ممثل الامبريالية والصهيونية العالمية في آسيا وأضعفت من وجودهما في جزء مهم من بقعة العالم الإسلامي؟ تخدّمون مصلحة من؟ يا عرب يا قوميون!

اجتماع الدعوة الصادقة مع الدولة الملتزمة المتحررة المرية خطر على كل من يريد فصل الدين عن السياسة، فصل الأخلاق عن الدين، أو استغلال الدعوة لصالح الدولة أو المذهب أو الحزب. قيام حكومة إسلامية بانية لمعالم الإسلام السياسية والاقتصادية والاجتماعية هو وثوب للساحة العالمية لاستحقاق القيادة حتى في داخل الشعوب المغلوبة على أمرها.

ولنسأل القوميّات المعتدلة في إسلامها: «لماذا التكتل ضد الإسلام الشيعي؟ أهى الغيرة على السنة المحمدية الواضحة ومحاربة البدع والخرافات المزمّنة حتى تبقى نقية طاهرة لا تلطخها ظاهرة... لتكريس واقع يخدم أهواء طبقة معينة ومصالح أجنبية واستمرار حالة الانهزام والتردي والانحطاط؟».

ولنتساءل: «لماذا تظافرت جهود الغرب المسيحي اليميني واليسار الصهيوني في الغرب والشرق والقوميّات اللادينية والقوميّات ذات الاتجاه الإسلامي السوري، لماذا تظافرت جهود كل هؤلاء بواسطة إعلامها على

تشويه الحركات الإسلامية في إيران وباكستان وأفغانستان؟

أصابته الوجود الامبريالي ضربة قاسية، لكن الخطر زاحف ويهدد شعوب المنطقة. الفقر المدقع وارتفاع المعيشة الفاحش في مصر والتفاوت الطبقي القاتل في السعودية والإمارات والخليج واستبداد النصيرية في سوريا، وبذخ ألف ليلة وليلة عند الحكام البعثيين، وبعهدهم عن الدين يجعل المنطقة قابلة للتفجر من حين لآخر خصوصا وأن القيادة في إيران قيادة متواضعة مجاهدة مؤمنة. أما فك الحصار على الاتحاد السوفيتي فقد فتح بابا فسيحا للحركة الإسلامية ليدشن مرحلة مباركة، مرحلة تحرير الأقليات التي توجد تحت السيطرة الشيوعية. يقول وليم. أ. غريفيث، أستاذ كرسي للعلوم السياسية في معهد ماسا تشوستس للتكنولوجيا: «(إن) أكثر المتضررين من هذه الموجة الإسلامية هو الاتحاد السوفيتي. ذلك أن دعاة تطبيق الشريعة في الحكم معارضون للسوفييت بشدة بسبب طبيعة الشيوعية الالحادية وهكذا فإن النفوذ السوفيتي الذي تراجع كثيرا في الشرق الأوسط يستمر تراجعاً هناك إلى حده الأدنى. ولكن الأمر الأكثر إزعاجاً لموسكو هو أن أربعين (40) مليون نسمة، في روسيا، هم مسلمون. وأن الغالبية الساحقة هؤلاء تقيم في آسيا الوسطى السوفيتية وأن نسبة الولادات بينها هي أكثر بكثير ما لدى الروس الأوروبيين. (تحديد النسل مرض أوروبي معد). ولذلك يتوقع أن يشكل السوفييت المسلمون في نهاية القرن نحو 40 في المائة من الطاقة البشرية الفتية في الاتحاد السوفيتي. وإذا امتدت هذه الموجة الإسلامية إلى آسيا الوسطى السوفيتية، فإن موسكو ستجد نفسها أمام خطر حقيقي». فلا عجب أن نرى تدخل السوفييت في عزل البكر الرجل «المريض» الذي لم يعد قادراً على خدمة مصالح موسكو أو في الإطاحة بالقيادة القديمة في أفغانستان سابقاً للأحداث

وتنفيسا للوضع المتفجر فيها. ينهي كرفيث مقاله وهو العالم التكنولوجي في أمريكا بقوله: «والمأمول بعد ذلك أن نتعلم درسا، وهو أنه في عصر المركبات الفضائية هذا يمكن لدين ظهر منذ قرون عدة أن يثبت أنه قادر على إسقاط أقوى الملوك». خلاصة عالم دون مركب نقص، ذلك المرض الذي أصاب الدول المتخلفة: العلمانية... العلمانية.. التقدم الحضاري...!... القومية الهابطة...

اختلف القوميون العرب في كل شيء، اختلفوا في نظامهم الداخلي وحلول مشكلات شعوبهم الاجتماعية، اختلفوا في التعاون الاقتصادي والثقافي، اختلفوا وفشلوا في توحيد قوتهم العسكرية وتوجيهها نحو العدو، اختلفوا في صياغة استراتيجية سياسية وحتى دبلوماسية في السياسة الخارجية لمواجهة المؤتمرات لكنهم اتفقوا على أن الإسلام الذي يتحرك الآن في إيران وفي باكستان أو في أفغانستان وجميع أنحاء العالم خطر على ماذا؟... خطر على ديمومة خلافهم ومخلفاتهم وتخلفهم.

اتفقوا على أن الرجوع إلى المبادئ الإسلامية في الحكم وإقامة الحدود في الأحكام وتطبيق مبدأ القصاص واحتجاب المرأة واحتشامها وتوحيد المسلمين على أساس العقيدة والشريعة هو تقهقر إلى الوراء ورجوع إلى القرون الوسطى نقلا عن صحافة الغرب وتملقا لها وتلمذا لفكر جاهلي وتقربا منه.

صرح سنغور الفرنسي الجنسية الممثل للوجود الفرنسي في البلد الإسلامي السينغال، المتزعم بشاعريته الجاهلية للحضارة الزنجية الذي استعمله الاستعمار وسيلة للإبقاء على نفوذه، صرح هذا المسيحي الذي

يحكم بلدا إسلاميا نسبة المسلمين فيه تصل إلى أكثر من 90%، صرح بأن قيام حكومة إسلامية في إيران «رجوع إلى عصر الظلمات».

ما مشروعية الحكم في هذا البلد الإسلامي؟ هدنة بينه وبين علماء الدين المسلمين. وحن الأوان لفسخ هذه الهدنة. بدأت فيه حركة إسلامية يتزعمها أحمد نياس يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية وبعدم التفريق بين الدين والسياسة لكن حزبه محظور. وما السينغال إلا بلد من البلدان العديدة التي تنتظر نهضة إسلامية حتى تفتح الدائرة الضيقة لإطار جامعة القوميات العربية المتخاصمة المتراضية حينما التي يتزعمها فكر أجنبي مغرب ونعرة ضيقة جاهلية.

غداة الاحتلال الاستعماري للبلاد الإسلامية، يعد تمزيق الخلافة العثمانية، لم تكتف الجنود باحتلال الأرض، لأن احتلالها ما كان قط خطرا على أمة ذات إرادة جهادية، بل ذهب قوادهم إلى معالم القوة والرموز التي لها علاقة بحساسية الأمة الإسلامية. ذهب «غورو» الفرنسي حينما احتل جيشه دمشق، ذهب مباشرة إلى ضريح صلاح الدين الذي كان يمثل شوكة الإسلام في وجه الصليبيين ووضع قدمه عليه قائلا: «ها نحن عدنا يا صلاح الدين!»، وذهب الجنرال اللنبي البريطاني، حينما احتل القدس مباشرة إلى كنيسة القيامة قائلا: «اليوم انتهت الحروب الصليبية!».

ما أشبه اليوم بالبارحة! الصهيونية تحمل وقود العصبيات، وتنفخ فيها وتمكر بالإسلام عن طريق القومية. حرق المسجد الأقصى امتحان لشعور قادة المسلمين. أقبلت إسرائيل على فعلتها للتأكد من فعالية مكرها وإخلاص عملائها في الداخل. فمن تحرك إلا تهجيا إعلاميا ما لبث أن انطفأ كشعلة التبن؟

أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحامل أمانته، ما لبث أن لبي داعي ربه وترك الأمة بخير. أما الفاروق عمر رمز العدل والإيمان القوي، عثمان المتبتل القائم الصائم، علي المجاهد المحسن، ابن عبد العزيز الأمير التائب الآيب إلى ربه المهاجر إليه، صلاح الدين رمز الإصلاح والمحرم لمقدسات البلاد، رموز وآيات الله المتكررة في الوجود، استهدفتها أيد مجرمة لضرب الإسلام في المسجد رباط القوة ومنبر الحق والعدل مع عمر، وفي كتاب الله مع ذي النورين، وفي روح الجهاد مع علي الإمام، وفي مبدأ التوبة النصوح مع ابن عبد العزيز، وفي شوكة الإسلام مع صلاح الدين الأيوبي، وفي أشخاص آيات الله داخل إيران وفي أمة الإسلام على حدودها المصطنعة. أيدي الكفر تضرب الإسلام معها أيدي الكافرين والمنافقين القوميين.

الحركة الصليبية انتهت بانتهاء الخلافة العثمانية وبذهاب الأمة الإسلامية وإنشاء الشعوب والقوميات وبدأت صليبية أخرى متخذة صيغا فكرية وتبشيرية تغزو العالم الذي عدت أبواب النفوذ إليه لتفتحها لكل أنواع الغزو والتغريب والتجهيل. تخلص العرب من الاستبداد العثماني لكنهم سقطوا تحت الاحتلال الأجنبي، وبذهاب «الخلافة العثمانية أصبح المسلمون يمثلون أقلية يتيمة في البلاد التي انسحب منها الأتراك العثمانيون. لقد عانى المسلمون، خصوصا من هم تحت السيطرة الشيوعية الشيء الكثير. المسلمون العرب وغيرهم في الفلبين، في اريتريا، في الهند، في الصين، في روسيا، في قبرص يتامى محتاجون إلى رعاية الوحدة الإسلامية. أفغانستان تذبج.

ما كان لستالين ولا للصين ولا للحبشة ولا للماركوس الكافر أن يذبحوا ملايين المسلمين لو كانت خلافة تمثل شوكة الإسلام ولو على نمط الأتراك العثمانيين. رفض الخليفة العثماني عبد الحميد «الظالم المستبد» بيع فلسطين بالذهب وباعها القوميون العرب وخانوها بدولارات كما باع الآخرون وتاجروا فيها بدراهم بنخس معدودات وكانوا فيها من الزاهدين. فأين التقدمية؟ أعند فراغنة مصر أم عند نصيري سوريا أم بعثيي العراق؟ أم هي في موقف عبد الحميد رغم بعده كل البعد عن روح الخلافة الإسلامية؟

جربت الشعوب الإسلامية كل أنواع الدعوات القومية. كان الحماس الجماهيري مع القائد «الثوري» حينما كان الموقف يتطلب صناعة الشعارات وارتجال الخطب فصنع لهم المستعمر منبرا سباه «جامعة عربية» تحت رعايته وبرضاه، لعبت دورها الفعال واعتبرها كل ذي سلطان جديد متسلط إطارا قانونيا لإضفاء صبغة المشروعية على نظامه المصنوع. ولما كان نفس الجامعة العربية قوميا، كان اجتماع العرب في «عصبة» يأخذ مشروعيتها ويحدد عمره من وضع خلق مع الاستعمار وانتهى باستقلال الشعوب. لما ذهب هذا الوضع إلى غير رجعة أصبح المشكل المطروح: علام يجتمع العرب؟ مشكل سياسي في أساسه: مشروعية أعضاء العصبة مقدار تمثيلهم لإرادة شعوبهم، فعالية حلولهم للمشكل الاجتماعي العدل، مقدار تجاوبهم مع الشعور الحقيقي الذي يحرك الشعب: الشعب الديني.

ما دامت القيادات العربية لم تتوحد على مستوى عقيدي: دين الله والحكم بما أنزل وعلى مبدأ العدالة الإسلامية ونظام الإسلام السياسي، ما دام القوميون على ما هم عليه في وهن وإهانات واتباع شنان أقوام يبقى البحث عن منصات أخرى ولو كانت منصة الكنيست أو الكريملن، والبحث عن حدائق غناء توقع فيها الاتفاقات سواء في واشنطن أو جونييف أو حتى

في مقر «عصبة» الأمم، يبقى هذا أفق من تجاوزه الأحداث.

القومية في احتضار بعدما طافت على جميع مصحات العالم لأنها تعاني فقرا دمويا خطيرا وانهيارا في الجملة العصبية. أصابها داء العصاب حينما هبت ريح الانعتاق الإسلامي من إيران فنهضت لاستعمال وسائل عقيمة في إيقاظ الفتنة على الأطراف النائبة الحساسة للعصبية الجاهلية قبل أن يستتب الأمر لدولة ناهضت الظلم والفساد والاستبداد. ما منطق القوميات؟ أهى عصبية للعصبية؟

يتساءل المسلمون على النهضة المباركة في إيران وباكستان اليوم وغدا، تحرير أفغانستان وكل بلاد إسلامية تثن تحت الكفر أو الاستبداد. أهو أمل في إنشاء وحدة إسلامية تمثل شوكة الإسلام في وجه العملاقين المتنافسين على هذا العالم الإسلامي الذي وجداه فريسة سهلة المنال فمزقاه بين يمين رجعي مسالم ويسار ثوري مهرج.

روى الترمذي في سننه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله قد أذهب عنكم عصبية الجاهلية وفخرها بالآباء، وإنما «مومن تقى أو فاجر شقى، الناس بنو آدم وآدم من تراب» ولا فضل لعربي على عجمي إلا بتقوى الله».

وفي سنن أبي داود عن النبي صلى الله عليه وسلم:

«ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية».

«يتبع»

صدقتم يا رسول الله وأبنت وبلغت.

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا
إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد
كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين. إنك حميد
مجيد.

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء

و شاء الله أن نلتقي، وكان الرجل حديث عهد بالمحبة، ولم أكن حديث عهد بتنسم أخباره ولا بتتبعها، وقد كانت أخباره ملء أسماع الناس. وزرته ضمن مجموعة من الإخوة والأصدقاء: وكنت قد رسمت لنفسي عنه صورة واضحة المعالم من خلال كتاباته، ومن خلال ما روي لي عنه..

وأقبل علي الأخ عبد السلام ياسين هاشا محيا بتحية الإسلام، وعانقني عنقا حارا ينضح صدقا وإخلاصا، وإذا بالحقيقة الماثلة أمام عيني أكبر من تصوراتي... فالرجل نحيف الجسم مائل إلى الطول تجذب انتباهك منه نظرة حنان نافذة تغنيك عن الكثير من الحديث، تتطلع إليك باشفاق وتستغفر لصاحبها ولك، وتكشف أستار تلك النفس التي أراد الله أن تكون مطمئنة إليه من مشيئته...

وترتسم ابتسامة وديعة على شفثيه، تدعوك إلى ترك التردد والوجل جانبا وتدعوك إلى محادثته دون توجس أو عناء، وتنطق قبل أن ينطق لسانه لتقول لك بلسان الحال «مرحبا بك أخي في الله... كن ابن من شئت، وانتسب لمن شئت، فيكفيني أن تكون أخي في الإسلام وشقيقي في

الإيمان، فأملنا أن نلتقي بمشيئة الله لتحقيق إرادة الله، فلا تخف ولا توجل فالأمر لا يتطلب منك خوفا ولا وجلا...».

وترددت كلمات الترحيب في قلبي وضميري قبل أن تتردد في سمعي، ورحت أقارن بين عذوبة الابتسامة وصفاء النظرة وبين صدق الحديث عند الرجل فازداد قريبا مني أو بالأحرى ازددت قريبا منه، وكأني أعرفه منذ زمن ضارب في القدم... كلمات هادئة موزونة تستشعر صدقها في يسر وسهولة، تدور في خلد صاحبها قبل أن تصل إلى سمعك، وكأنها يريد الرجل أن يرأف بك فلا يستعمل من الكلمات إلا ما تستسيغه وإن قصرت عن مرمى صاحبها، فتجعلك ترتاح في جلستك وتلقي بحيطتك وحذرك بعيدا، لتتعرف على الحقيقة تلامس روحك وتهز وجدانك...

حدثته عن حسن البناء، وسيد قطب رحمها الله، فمر بأصابعه بين ثنايا لحيته الكثة، واتسعت ابتسامته وازدادت جذوة نظراته اتقادا، واستمر صمته المعبر لحظات، ثم شرع يحلل المقومات الإيمانية والجهادية لدى كل من الشهيدين، وبدا حديثه مرتكزا على خبرة ومطالعة وطول قصد للحقائق لا تخلو من عمق «... هناك تباين وإن ظهر غير واضح بين الشهيدين: حسن البناء مؤسس جمعية الإخوان المسلمين، رجل فاضل حباه الله بعدد من الصفات التي خولته أن يكون مكون جماعة بتلك الضخامة وبذلك المستوى الإيماني الرفيع... أدرك بثاقب نظره وبعد بصيرته أن صلاح الأمة لا يمكن أن يتحقق إلا بتربية الرجال الصالحين ويسر الله له من الأسباب والظروف ما جعل حركته ودعوته يعلو شأنهما ويذيع صيتهما، وساعدته نشأته الصوفية وصفاءه الروحي على استكشاف الأرضية التي ينبغي أن يتم الانطلاق منها وكان للأستاذ المودودي رحمه الله أبلغ الأثر في إمداد جماعة الإخوان بفيض من النظريات والآراء الصائبة التي كونت في حقيقة الأمر جزءا هاما

من زاد جماعة الإخوان.

ويبقى حسن البناء وجماعة الإخوان فوق هذا وذاك أبرز مثالين أعلى يمكن للنوايا الحسنة والمجهود المنظم تحقيقه من نتائج طيبة، إذا كان الهدف واضحا جليا وإذا كان الاستعداد الروحي والإيماني في مستوى المرسوم. والجماعتان رصيد هائل لكل الحركات الإسلامية سواء منها التي سارت في حقل الدعوة أشواطاً، أو تلك التي ما زالت تبحث عن منفذ إلى الأسلوب الأهم في الدعوة إلى الله...».

وانتقل الأخ عبد السلام إلى الحديث عن سيد قطب رحمه الله «... قمة إيمانية سامقة وقلب سليم، ونية صادقة لا يتطرق إليها شك، وعطاء قلبي وعاطفي هائل، استقى منه الإخوان بعد رحيله فأقام أودهم أو بعض أودهم... وتقف أوجه التشابه بين الشهيدين عند هذا الحد، لأن سيد قطب اغترف من نبع التربية الروحية بمكيال يقصر ويضيق عن مكيال حسن البناء مؤسس جماعة، وسيد قطب منظر هذه الجماعة إلى حد معين، ثم إن منحى سيد قطب التربوي والجهادي خاصة يتسم بالسرية والإيغال في السرية وذلك مضنة لحياكة الدسائس من قبل الخصوم والأعداء أضف إلى ذلك أن السرية يشوبها التكتم والبعد عن الوضوح، وحقيقة الإسلام ودعوته ساطعة وضاحة لا تحتاج إلى تغليف لأنها تعبر عن نفسها بنفسها، ولربما يرجع القسط الأكبر من محنة الإخوان المسلمين، التي يحتسبها لهم الإسلاميون.

وأخذت أتردد على منزل الأخ عبد السلام نتجاذب أطراف الحديث، ومحور أحاديثنا الدعوة والدعاة. ولم يخطر ببالي مطلقاً أن اتخذ منه شيخاً أو مرشداً وما هو بالحريص على التشبه بالشيخوخ ولا بالمرشدين، إلا ما كان من حرصه على لم الشعث ورأب الصدع... وألح علي سؤال حرت به

طويلا ثم طرحته على الأخ في استحياء «لقد عشت في أحضان «الطريقة» أعواما، وخبرت عن كتب جليلة حالهم وقد بدا واضحا في كتاباتك عنهم تقدير كالجسم لهم، واعترافك بجميلهم وإعجابك بما أسميتهم بتربيتهم الروحية وصدقهم وشدة تقواهم وإخلاصهم... وشاهدت أنا بأمر عيني من أفراد المجموعة ما لم يرح بالي، ولم يطمئن خاطري، فكيف يكون لهؤلاء الناس فضل عليك كما تقول والحال أن سمعت منك ورأيت ما لا يمت إلى ما سمعت منهم ورأيت بصلة أو يكاد...؟

ولم يشف الأخ عبد السلام غليلي لأول وهلة، وطفق يفتح بصيرتي بعد بصري على ما كنت أجهله من حقيقة الصوفية النقية الطاهرة موضحة أن الاتباع من ذوي الضمائر المتعفنة قد أساءوا إلى الصوفية أبلغ إساءة، وخاض أصحاب الأغراض الوضعية في الماء العكر ورسخ في أذهان المتطرفين أن الصوفي مثار كل الخرافات والخزعبلات التي نسجتها مخيلات محمومة تستلهم ضلالها من توجيه الشيخ وبياعاز منه!؟...

ولم يكن ما أسر إلي به من حديث استدراجا لتغيير موقفي، بقدر ما كان محاولة لإخراجي من ضيق الأفق الفكري إلى سعته... رجاني أن أترك الأحكام الجاهزة والعبارات الطنانة والنعوت الجوفاء جانبا كي أصدر في أحكامي عن روية وبعد نظر ودقة وتمحيص، والعدالة في الحكم تتطلب منا تجردا ونزاهة بالغين قبل الخوض في غمار الملابس والمعميات، لأن انعدام هذه المؤهلات يهوي بنا إلى قرار سحيق أقل ما ينالنا منه أن ننتع بالرعونة والطيش، وليس من طبيعة المؤمن أن يرضى بأن يلحقه هذا الوصف الشنيع ناهيك عن أن يبحث عنه ليتصف به.

وشعرت بالمعية رجل التعليم الخبير بفنون التربية ومناهجها تسطير على لبي ووجداني، وبدأت الوحشة تزول تدريجيا، وبزواها بدأت

غيوم الخلفيات والترهات الباطلة.. تنفثع ولم أر من الأخ عبد السلام لا، ولم أسمع منه ما يندرج تحت وصف «الصوفي المخرف» التي ألصقت به بغير وجه حق.

لاحظت منه اهتماما بشؤون المسلمين لا يعدله إلا تقلله ونكران ذاته وسعة صدر تشمل كل الدعاة إلى الله وتحلهم المحل الأسمى من قبله، وتألما لما يعانیه المسلمون من تمزق وفرقة لا يداניהما إلا عزيمته الصادقة في تجميع كلمتهم حول كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم...

وكأني بالأخ عبد السلام يقول وهو يقرأ ما كتبه في نبرته المعهودة «لا تقصم ظهر أخيك» وما بي رغبة قصم هذا الظهر الذي ابتهل إلى الله جل وعلا أن يقويه ويشد في أزره حتى يكون أقدر على تحمل مشاكل المسلمين ومعالجتها أو معالجة بعضها في حزم ولين.

لقد أرخيت العنان لعواظي كي تعبر تلقائيا وبدون تزيّد أو مبالغة علم الله عما يختلج في صدري. ولئن كان ما ذكرته عن الأخ عبد السلام سيثير استغراب بعض إخوتي، فإني أعذرهم، ومن خلال هذه المعالجة أؤكد لهم أنني ما زلت ولن أنقطع عن صحبتهم بأي حال من الأحوال، بل إني أعتقد جازما أن تعاوني مع الأخ عبد السلام هو في صالح دعوتنا المباركة جميعا، فليس في عنقي بيعة لأحد إلا العهد الذي قطعه على نفسي لأحملها على إخلاص النية لله، ولست سنيا تصوف كما قد يخطر بأذهان البعض، كما أنني لست صوفيا نبذ الصوفية ليطمسك بالسنة، وليس بين السني والصوفي أي فارق إلا ما كان من ذلك الركام من الأوهام والأضاليل، وإذا كان الأخ عبد السلام قد وجد أن محاولة التحليق بإخوته في الطريقة «عاليا في أجواء الدعوة محال أو ضرب من المحال فإنني أجد إخواني قد حلّقوا بعيدا عني في حين أنني ما أزال أتعثّر في سيري للحاق بهم،

فقد سبقوني في ميدان الدعوة بمراحل عديدة، وتعلمت منهم بفضل الله وامتته الكثير، وما زلت في حاجة إلى المزيد، وحيي لهم يزداد ويستحکم لأنهم جيل الطليعة الإسلامية التي أرجو من الله جاهدا أن يبارك مسعاهم ويسدد خطاهم حتى يحققوا المهمة التي أناطها الله بهم واختارهم لأدائها. مهمة الدعوة الصادقة إلى الله في وقت ندر فيه الدعاة المخلصون.

إننا في حاجة معشر الإخوة إلى توحيد الكلمة، إلى التعاون، فأعداء الإسلام في العالم يتربصون بالدعاة الدوائر، ويتحينون منهم الفرص السانحة، ولن يمكنهم الله من مبتغاهم الخبيث إذا شكل الدعاة بعون الله وتوفيقه وحدة متماسكة كالجسد الواحد، «إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى» كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا غرقنا في سفساف الأمور الهامشية، وجزئيات الأشياء الثانوية سنفسل وتذهب ريحنا، ولما يشتد عودنا بعد.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: 153).

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ (آل عمران: 103).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة: 54).

صدق الله العظيم والله أكبر

محمد بشيري

بسم الله الرحمن الرحيم

ندي الطلبة

قد يسأل أحدنا لم إكثارنا من نشر رسائل القراء. وعلى اللبيب لا يخفى الأثر البليغ في إثبات وجود الإسلاميين بواسطة نشر رسائل الإسلاميين الملتزمين، وغيرهم من المتعاطفين وسائر القراء.

اللقاء على صفحات المجلة لا يكفي، فإذا كانت شهادات الإسلاميين المكتوبة صادقة فلا شك تكون قراءتها إن شاء الله مما يربط الله به العزائم ويقرب به بين المؤمنين. ومن هذا الإحساس عبر الرسائل بالوجود الإسلامي نرجو أن تنقذ إرادات العمل وتيقظ نيات الجهاد.

وبما أن «جماعة المسلمين» بهذا القطر الإسلامي ما تزال مشروعا في الغيب، فإن تلمس الإسلاميين بعضهم بعضا من خلال ما يكتبون يرسم في الأذهان والعواطف خيال ذلك الوجود المنشود ثم تتوضح خطوط الصورة شيئا فشيئا ثم تخرج الجماعة إلى الواقع تدريجيا حتى تتمثل بإذن الله قوة فاعلة مسؤولة شاهدة على الناس بالقسط. ووظيفة مجلة «الجماعة» أن تخاطب الرأي العام الإسلامي وتجمع بالشهادات المكتوبة المتبادلة على صفحاتهم ثم بالنيات المعلنة والالتزام عناصر البناء وخطوط القوة في الضمائر أولا ثم في الواقع، واقع يهيء غد الإسلام المشرق بحول الله.

الإسلاميون في المغرب مضطهدون، فبقراءة رسائل بعضهم نرجو أن يحل الشعور بالوجود محل الشعور بالضآلة، ونرجو أن يتطعم بهذه القراءة عزم المؤمنين والمؤمنات.

سكان الواحة

كتب إلينا إخوة عن معاناة الإسلاميين بالمغرب. واتخذنا عنوانا عاما عبارة أحدهم حين شبه الإسلاميين -جماعة من جماعاتهم- كانوا ملتئمي الشمل في واحة الأخوة ثم دخل فيهم دخيل عدم الثقة ودخيل الخلاف في المنهاج ودخيل الأمراض التنظيمية. إذا أضيف إلى عوامل التمزيق الداخلية عوامل العدوان الخارجي والاضطهاد الرسمي فقد تمت مواصفات الوضع الحالي للحركة الإسلامية بهذا البلد. وعلاج الحالة لن تجده منا بل في عموم ما نكتبه بهذه المجلة إن شاء الله. وكفى بالشعور بالحالة المرضية والاضطهاد موقظا للبحث عن العلاج.

(1)

قال الأخ الكريم عبد الرحيم أ. من البيضاء فيما قال: ... أكتب لك هذه الرسالة وقلبي عامر بالأسى والحزن يتجاوب مع بال وأفكار مضطربة لا تكاد تهدأ ساهية في بهرج من التساؤلات والاحتمالات ولكن هذا كله لماذا؟

بصراحة

هذا كله أبي الكريم لعدم معرفتي أين أستطيع أن أضع قدمي؟ كيف ذلك؟ حقا أبي الكريم لا أخفي عليك لقد سبق لي أن عملت مع من جمعني وإياهم الدرب زمنا ليس بقصير كانت ثقتي بهم قوية ولا يعلمها إلا الله.

لقد عاهدت نفسي وأنا أساير الركب على المضي في الطريق إلى أن يشاء الله. حقا أبي الكريم لا أنكر الجميل (أعوذ بالله) قد كنت تراني في صحراء تائها لا أعرف أين سأتجه رغم صغر سني آنذاك إلى أن أمسكتني يد حفظها الله ورعاها وأدام أمثالها فأرشدتني إلى واحة وجدت فيها كل ما كنت أبحث عنه من خير. بصفة عامة. عشت ولا زلت أعيش وسط هذه الواحة والله الحمد أياما يعجز القلم عن ذكرها.

وكما يكون في علمك أيها الأب البار أنني أصبحت أفقد الثقة في كل أخ أعرفه وأسأل الله أن يتجاوز علينا وعلى الكل، إذن أخي في الله أرشدني جزاك الله عنا خير إلى ما فيه الخير.

ابنك هذا له رغبة قوية جدا في العمل الإسلامي لكن في وسط يعرف ما معنى الإسلام وماذا أراد الإسلام من دعائه... الخ

(2)

من الأخ عبد الله س. رسالة فيها حزن مثلما في الرسالة السابقة. ونحسن فيما يعانیه شبابنا من كمد التمزق والتوقان للأخوة الجهادية. قال: ...

وأخيرا شاء الله سبحانه وتعالى أن تكون لنا مجلة إسلامية نكتب إليها ونقرأها ونفتخر بها بعد غيبة طويلة وبعد طغيان المجالات الحزبية الضالة المضلة واستعمارها للسوق المحلي واستيلائها على الرأي العام الداخلي.

فإليك أكتب رسالتي هذه التي تحمل داخلها نداء حارا من قلب مسلم أدماه حال المسلمين.

كفانا تفرقة

إن المسلم في أيامنا هاته قد تضره الفتن... فتن الأهل والشارع

والمجتمع... ولكن بفضل الله قد يستعين عليها، وما نراه من شباب مسلم يتخطى كل الحواجز التي وضعت له في الطريق لكي يعبر عن شعوره المسلم وإحساساته النقية وتصوره الخالص للحياة والإنسان والكون لخير دليل على أنه استعلى على كل الحواجز وتخلص من فتن البيت والشارع والمجتمع... شباب داخل المدارس والثانويات والجامعات رفضوا الهوى والأهواء... وذهبوا بعيدا لينادي أحدهم بأعلى صوته النداء الخالد «الله أكبر، الله أكبر» ليطلقوا صفا مستقيما يدل على استقامة نفوسهم وقلوبهم وأفكارهم.

هذا الشباب؟ مم يشكو؟ مم يبكي ويتمزق؟

إنه يخاف ويشكو ويبكي ويتمزق من مرض خطير فتاك أصاب المسلمين وقد حذر الله سبحانه وتعالى منه فقال جل شأنه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: 153)، إنه طريق واحد مستقيم وإلا فهي السبل؟ أتدرون هذا المرض؟ إنه مرض التفرقة. بالله عليكم أنصفونا نحن معشر الشباب المسلم الحائر إذا كان ربنا واحدا ورسولنا واحدا وديننا واحدا وكتابنا واحدا وقبلتنا واحدة ومنهاج الإسلام واحد وهدفنا واحد، فلماذا التفرقة! ولماذا الاختلاف! ولماذا الصراعات! فلا نفرقونا ولا تقسمونا أقساما ولا تجعلونا شيئا وأحزابا. كفانا تفرقة الاستعمار الذي لم يرفع قدمه من أرض الإسلام حتى تركنا شعوبا ودولا وقبائل وصنع لنا حدودا لا زلنا نتحارب ويريق دماء المسلمين من أجلها إلى يومنا هذا. ومما يبكي له القلب إن كان للقلب دموع هو حال هذه الجماعات الإسلامية التي تبشر بالخير في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي.. لماذا هي الأخرى لم تنج من هذا المرض الخبيث...؟ لماذا أصابها ما أصاب الدول والشعوب الإسلامية من سموم هذه التفرقة؟

- نشكر أخانا عبد الله على رسالته القيمة. وكنا نحب نشرها كلها ونشر كل الرسائل لولا طولها وتعددتها وقلة وسائلنا.

(3)

* من الأخ الفقيه محمد وإخوانه بالبيضاء وصف للاضطهاد الذي يلاحق الإسلاميين. فبعد القمع الذي تعرض له رجال الدعوة طيلة أسبوع أزعجوا فيه أيما ازعاج وحشروا في السجن بدا لنا أمل في إنهاء أسر أخينا إبراهيم كمال بمحاكمته (أرأيتم أننا لا نطلب الحكومة بأكثر من الحد الأدنى للعدالة؟)، لكن الأمل كان حلما. وحين قام الطلبة بالنداء للإنصاف طوردوا واعتقلوا. قال الفقيه:

أخانا الحبيب: لقد جرت محاكمة أستاذنا ومربينا وأخينا في الله الداعية المجاهد «إبراهيم كمال» صبيحة يوم الاثنين 20 محرم ما بين التاسعة صباحا والثانية عشر زوالا وحضر معنا مجموعة من الشباب الإسلاميين جاؤوا ليستنشقوا رائحة أستاذهم الحنين الذي كان يجالسهم ويعلمهم آداب الإسلام ومعاملاته، الإسلام الصحيح الذي أصبح ذكره حراما في ظل الديمقراطية المزيفة، وبعدهما دخلنا قاعة المحكمة ورأينا إخواننا مسلسلين.

وفي هذه اللحظة استنكر الطغاة ذلك النداء الذي يخافه الرعايد. الله أكبر، وبدأوا يطاردوننا بسياراتهم البوليسية وتشتتنا لهم في الأزقة والشوارع وقبضوا منا على بعض الشباب ونقلوهم إلى مركز الشرطة وانهالوا عليهم بالسياط والسب والشتائم التي يعجز اللسان عن ذكرها: وتكلم معهم شاب كلاما في جرأة المسلم المعترف بالله. وعذبه عذابا فوق طاقته. إن الله يشهد وملائكته تكتب والتاريخ يسجل والدنيا تفوت والأعمار تنقضي، وعلماء الإسلام مسؤولون أمام الواحد الديان وهم يشاهدون على مرأى ومسمع ما يقع للعلماء المخلصين والشباب المجاهد وهم نائمون في سبات. ونقول

لهم قولوا قوله الحق هداانا الله وإياكم أنكم تشاهدون ما يقع للموحدين: سجون واعتقالات وتعذيب ومرضى لا لشيء إلا أنهم آمنوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا ورسولا.

أخانا عبد السلام، هناك علماء تعتقل ومساجد تحرق. اعتقل الأخ عبد البارئ الزمزمي وأدخلوه السجن واحتلوا مسجده ببياعي القرآن، وهناك مسجد آخر يسمى مسجد زحل هذا الشاب المجاهد كنت إذا دخلت المسجد تشعر فيه بالسكينة والوقار وتحس بأن الملائكة تحف هذا الأخ زحل كان مستمرا في تربية جيل مسلم وله مسجد متواضع ونقي من الخرافات والبدع. لكن ويا للأسف جاءت الشرطة يوم الجمعة 25 محرم وطوقوا المسجد وطرودوا الشباب وأدخلوا جماعة من بياعي القرآن وأمرؤهم أن يقرؤوا القرآن جماعة رغم أنف الدعاة وخربوا هذا المسجد دون حياء ولا خجل ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة 114).

والله أكبر والله الحمد.

(4)

من المدينة المنورة رسالة من أخيناع.م. يدعو فيها لمواجهة غليان الفتنة بالحل الإسلامي - وهو حل الرحمة والحكمة- وينادي بالأخذ القوي لزمم الأمر - وهذا يقتضي من الإسلاميين سكان الواحة جمع طاقاتهم لتفادي الغرق. قال:

لقد تعرفت على مجلة «الجماعة» الصوت النظيف الذي تصاعد فجأة في واقع كله غليان وكله...! لقد تصاعد هذا الصوت مناديا بأن الطريق هو الإسلام.

ولا أحب أن أملاً هاته الصفحة مدحا فالدعوة إلى الله واجبة علينا

شئنا أم أبينا... ونحن إذا لم نأخذ بأيدي أولئك الذين يحاولون إغراق سفينة المجتمع المغربي.. بل الإنساني فمألنا الغرق جميعا.

(5)

ومن جماعة من المسلمين بالبيضاء نداء للوحدة الإسلامية الكفيلة وحدها بالرد على الاضطهاد والعمل الإيجابي لإثبات الوجود الإسلامي بهذا البلد. قالوا بعد مقدمة تؤكد أن «في السجن يتربى الدعاة»:

فهكذا أيها الشعب المغربي، نحن لم تعد تخيفنا السجون، ولا المشانق، فانظروا هل قتل الدعاة، وانحصر المد الإسلامي بعد كل التنكيلات والتعذيبات، والقتل والإغراء، والتشويه، والاتهام بالعمالة، مرة للأمرميكان وأخرى لروسيا؟! وهل أجدتهم شيئا أساليب السفاك لا في إيران فقط بل في مصر وبلادنا العربية وكل بلادنا الإسلامية؟! طبعاً لا ﴿وَلَيَصْرُنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج:40) صدق الله العظيم... إن العجب العجاب أن الحكام لا يستفيدون من تجارب أصدقائهم ولا يعتبرون بتأنيدهم.. فهل علم حكامنا أن الدعاة في المغرب، وأن المد الإسلامي فيه سائر لا محالة إلى نصر بعد نصر، أحب من أحب وكره من كره؟! هل علموا أن تلفيق التهم للدعاة واعتقالهم «كياسين» سابقا وداعيتنا الذي لا يزال ومنذ سنوات الأستاذ «إبراهيم كمال» و «إخوانه» معه في سجونهم يعانون العذاب والحرق، لا محاكمة عما نسب إليهم من أراجيف... ولا تسريحهم... ولقد مرت محاكمة تمثيلية سابقا، وربما هذه الأخرى كأختها.. لما رفضوا السماح لعدة محامين من خيرة المحامين المسلمين من عدة بلاد إسلامية جاؤوا، هذه الأيام بدأت حملة اعتقالات شملت عدة دعاة وعلماء - طبعاً ليسوا علماء النفاق المعهودين - في كل مدن المغرب، وشملت عددا كبيرا من الشباب المسلم... اعتقلوهم لأنهم ضبطوا متلبسين بجريمة «صلاة الفجر

مع الجماعة»، أو «إطلاق اللحية السنية».. أو «الصلاة بالقبض اتباعا لما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»... وهكذا أيها الشعب المغربي المسلم فإننا بقدر ما أخبرناك بهذه «التشريفات الجديدة القديمة» رغم أننا نعلم بأنك على علم بكلها أو بعضها... فإننا نريد أن نطمئنك على مسيرتنا الحقيقية الإسلامية لن نتوقف ولن تزيد منها هذه الإجراءات إلا تماسكا في الصفوف والتفافا واستماتة في سبيل الله الذي لن يتخلى عنا.. إن هذه «الإجراءات الحكومية الكريمة» لم تكن ننتظر غيرها منها... تأسبا بمثيلاتها، رغم أننا كنا نظن المغرب هو الدولة الوحيدة التي تفهم طبيعة العمل الإسلامي ولن تقف أمامه.. أما وقد وقع هذا فلا تستغربوه إنما هو بداية تنفيذ المخطط الأمريكي الصهيوني الذي تولى كبره وزير داخلية مصر والأسياد الأمريكان واليهود وأهل المكر جميعا... أيها الشعب المغربي دليلنا على حقد هؤلاء على الإسلام ودعائه ومحاربتهم هو اعتقال حتى «بعض رجال جماعة التبليغ» التي ظلت تجامل وتداهن فما نفعها ذلك شيئا إلا أن نعود إلى رشدنا وندرك أن الله هو النافع الضار وغيره لا شيء بيده... (والله غالب على أمره...).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(6)

ومن أختينا الفاطمي ب. من ناحية مراکش على لسان جماعة نرجو ألا تتعرض للفرقة كما تعرض أصحاب الواحة. قال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، باسم شباب قرية... نحبيك تحية إسلامية خالصة، ونبعث إليك هذه الرسالة، راجين من العلي القدير أن يزيدنا لنا في عمركم، ويحفظكم، ويرعاكم بنصر على نصر وذاك وعد الله لعباده المؤمنين.

إن أملنا فيك عظيم فامض لما أمرك الله فنحن معك والله لن نخشى

الموت في سبيل إعلاء كلمة الله إننا بكل إيمان نريد الجهاد الذي يرضى الله،
والحياة التي يرضى عنها.

إننا نهنتك على النجاح الذي حققته مجلتنا «الجماعة» التي تجمع الشمل.
حديث «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب» رواه عبد الله بن أحمد. والحق يعلو ولا
يعلى عليه. فسيروا إلى الأمام إلى إعلاء الحق وإزهاق الباطل.

كيف يكون الشباب وهو يحس بفساد الأوضاع في بلاده، فما عليه إلا أن
يبحث عن الحل فلا يجد أمامه إلا المخطط الشيوعي الذي يصادفه ويطارده
في المدرسة، والجامعة، والمكتبات، والصحف، ولا يجد البرنامج الإسلامي
معروضا بالأسلوب الذي ينبغي أن يكون عليه العرض لأن الاتجاه الإسلامي
في المعتزك الثقافي ضعيف جدا. فأين الذين يتشدقون بالدين وما هو إلا ورقة
سياسية في أيديهم يستعملونها في وقت الانتخابات ويتظاهرون بالإسلام.
فإلى من ينحاز المسلم العادي فضلا عن المسلم المثقف؟ من المسؤول عن
ضياع الدين؟ من يعالجنا نحن الشباب؟

إني أريدها صرخة من أعلى منبر الجماعة لعلها تجد آذانا صاغية وأدوية
كافية.

- طلبت إلينا تعريفا بالشيخ المودودي رحمه الله فلعل فرصة تسنح لذلك
إن شاء الله تعالى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

النصيحة

إخوتي الأعزاء الطلبة والطالبات الإسلاميين:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أحدثكم هنا عن موضوع يهم الجانب الحركي من عملكم الإسلامي بعد أن حدثتكم أنفا عن الجانب التربوي.

إنه موضوع وجودكم في المدارس والكليات والأحياء الجامعية، وجودكم أفرادا يمثلون الإسلام خلقا وشخصية ووجودكم جماعة تمثل الدعوة والإرادة الإسلاميين.

بلغني صدى أن بعض إخوتنا الطلبة ربما ظنوا حين أوصيت بتزكية النفس وذكر الله ومحبة الصالحين من مثل رجال التبليغ أي أدعوا للخمول والدروشة - معاذ الله !

إن وجود كل فرد منكم وكل جماعة - على تعدد الجماعات حتى لا تستحق أي منها هذا الاسم إلا اصطلاحا على واقع فتنة - مرتبط بوجود الإسلام في العالم في الواقع وفي تصور خصوم الإسلام والطائشين المغرورين بالإيديولوجيات الأجنبية المنتظرين يدا هادية تمسك بهم إلى الرشاد.

من قوانين الكون التي وضعها الله تعالى قانون جهاد ومنازعة الخصوم وبذل النفس. وها هو العالم يفاجأ بقومة الإسلام ويفرض عليه الاهتمام بهذه الأحداث الحاسمة التي نعيشها وهي مقدمة إن شاء الله لفصل مشرق تكتبونه أنتم الجيل الطاهر في سجل أمجاد الإسلام.

فأنتم إن شعرتم أن قومة الإسلام في العالم هي شرف لكم وإن الموقف يتطلب منكم تمثيل هذه الإرادة وهذه الدعوة وهذه الشخصية التي انبعثت فيها الحياة التمثيل القوي كان شعوركم خطوة نحو النضج والرجولة والاشتراك في المسؤولية عن مصير الإسلام ببلادكم القطرية وبالإسلام في العالم.

وإن غاب عنكم هذا الشعور فلن تتجاوزوا مستوى المهارات الجانبية، وهان عليكم أن ترضوا بالتهميش الذي يريد الأعداء والمضللون أن يفرضوه عليكم.

إن الوجود العضلي والصلابة في الموقف حين يعترض الأعداء من الأوباش هما الفاصلان بين الحمول والحياة، بين الذل والعزة بالله. لكن «الحوار العضلي» إن كان هو الأسلوب والمنهاج ثغرة منها تتسرب الطاقة في معارك عقيمة عنفها وقعقتها لا يخفيان الخواء الفكري والمنهاجي الباعث عليها.

انظروا الموقف الرائد لإخوتكم الإسلاميين بإيران وعلموا الشباب الطائش المضلل أن الإسلام هو التقدمية. ابدأوهم بما يفهمون ثم ارقوا بهم شيئاً فشيئاً إلى فهم العالم وأحداثه وتاريخ الإسلام ودروسه. علموهم برفق أن الحضارة الغربية في أزمتهما القصوى وأن الفلسفات المادية قد طلقها عقلاء العالم إلا تلامذة الفكر الجاهلي البلداء من بني جلدتنا، علموهم برفق وبمثال خلقكم وتماسك شخصيتكم وبدعوتكم وإرادتكم أن من كان الأصلح بموازين الاستقامة الإسلامية والإرادة الجهادية والأخوة المتضامنة هو الوارث. بالمثل علموا، بالرفق معه القوة لا برد الفعل العنيف.

لكن أين التضامن الأخوي بين الشباب، أين هذا العنصر الأساسي للقوة والنجاعة؟ إن الله عز وجل وعد المستضعفين بالوراثة متى كانوا أمة واحدة، أمة المؤمنين، جماعة المسلمين المخاطبة بالقرآن وأحكامه،

بالإيمان وشرائطه، بالجهاد وواجباته.

أول هذه الأحكام، وأوثق هذه الشرائط وأسمى هذه الواجبات هو الأخوة في الله، التحاب في الله، التوالي في الله والتناصر.

الحركة العضلية سراب خداع إن لم تسبق الحركية تربية وتواكبها، ومبدأ التربية صحبة وجماعة ثم سائر الخصال التي تنبثق عنها شعب الإيمان البضع والستون أو السبعون كما لخصت على غلاف المجلة وكما أشرح اتباعاً بإذن الله.

والحركة التي ترضي الله تعالى منك أخي ومنك أختي ومنكم جماعات أحبتي هي حركة تنقلك جسمياً إلى حيث تواصل في الله وتجالس في الله وتبادل في الله وتزاور في الله، وتنقلك نفسياً من كونها في الله من حضيض الأنانية إلى البذل ومن رذيلة وضلالة اتباع الهوى إلى الصدق والحق ومن العمل المعلول الهامشي إلى العمل المسؤول الواعي الذي يرفعنا إلى مستوى ما يريد منا الله عز وجل من شهادة على الناس بالقسط أي وجود يفرض نفسه على الآخرين بتوازنه لا باضطرابه، بحضوره لا بغيابه في النشاطات السرية والممارسات العنيفة.

للقوة أرشدكم لا للفسولة، والقوة عي غشيان المعركة بالوعي التام لشروطها وتبعاتها. ومن كان منكم ما يزال في طور التجربة والخطأ يجب أن يستفيد من تجارب التاريخ وحكمة العالمين فسيصل يوماً ما لفهم ما أقصد إن شاء الله. وما التنظيم السري العنيف إلا تقليد لليسار الجاهلي المتطرف.

أعداء الإسلام والمتربصون بأهله يريدون لنا أن نبقى على الهامش في التنظيمات السرية وإضاعة الجهد في الظلام. ويفرحون كلما

قدمنا دليلا على عدم وعينا أننا نحن لا غيرنا أهل الحق وأننا نحن لا غيرنا المرشحون لاستقبال غد الإسلام.

نكون في المستوى يوم نبذ العنف والسرية، ونخرج للشارع بصدورنا العارية نجرم العنف المسلط علينا كما فعل إخوتنا بإيران. ولا بد من شهداء، ولا بد من بذل بلا حساب.

ونكون راضين بعملية التهميش المدبرة علينا إن تمادينا في المناوشات الجانبية. ومن ثم أدلة مطرودين من الساحة إلى أحل غير مسمى.

ابدأوا أحبتي بلم تصدع الجبهة الداخلية. اسعوا لإصلاح ذات البين بين الشباب الإسلاميين. ثم اتخذوا هذا الإعجاب الذي يبيده الطلبة المضللون وأساتذتهم وصحفهم بالإسلام وقوته المنبعثة قنطرة لتفهم الإسلام. بالرفق والزورة والجلسة والبسمة والخدمة والكلمة الطيبة.

نظموا أسابيع ثقافية في الأحياء الجامعية وأينما كان. وعلى رجال الدعوة وعلمائها أن يساعدوكم. نحن لا نتخلى عن مطالبتنا الأساسية بالمسجد. لكن الحكومة لا يسعها إن كانت تحترم نفسها أن تمنعنا من الدخول للجامعة في هذه الأسابيع الثقافية، وهي تسمح بذلك للشيوخين وكل من هب ودب بذلك. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

بريد القراء

لعل القراء الكرام بدأوا يدركون أن مجلة «الجماعة» همها الأول جمع الإسلاميين إعداداً لإنشاء «جماعة المسلمين» القطرية، فالالتحام العضوي بالحركة الإسلامية العالمية، لذلك فأكثر ما يرد من رسائل يحوم حول الجمع وأسبابه والفرقة المقيتة ودوافعها.

ابتغاء مرضاة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

طنجة: في 16 محرم 1400

حضرة فضيلة الأستاذ العلامة: السيد عبد السلام ياسين، حفظه الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد: فإن وقوفكم مع الحق وتدعيمكم للوحدة الإسلامية وحرصكم على إبرازها في كل ركن من أركان الدين، ودعوتكم الصريحة النافذة إلى القلوب بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة على صاحبها أزكى السلام جعل أنظار المسلمين في

هذا الوطن تتجه إليكم لتتقذوها مما تتخبط فيه من مأس ومصائب الجاهلية الثانية، وتعيدوها نور الإسلام قولاً وتنفيذاً، حتى تنبثق جميع تصوراتنا، وأنظمتنا، وقيمنا، وموازيننا من المنهاج الإسلامي، وطبعاً، وكما تعلمون فقد انقطعت كل هذه المواصفات بانقطاع الحكم بشريعة الله، ولن يكون عز وسيادة في هذا العالم إلا إذا أرجعنا الحاكمية لله وحده، وهي من أخص خصائص الألوهية، وهو سبحانه في السماء إله وفي الأرض إله.

إننا معكم يا فضيلة العالم العامل بعلمه نشد عضدكم ونسير معكم في دروب الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى.

والحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

نسأل الله لكم ولنا ولكل المسلمين العافية التامة، لبذل كل الجهود للخروج بالقرآن الكريم إلى الجماعة التنفيذ لتنعمة الأمة الإسلامية وكل البشرية. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ملحوظة: المرجو نشر هذه الرسالة ابتغاء رضى الله

أخوكم في الله
عبد اللطيف بن عبد الغني جسوس
طنجة

الطرقية الجديدة

من فاس يامضاء «حركي غيور» رسالة شكوى من فرقة الإسلاميين الذين يجاربون الطرقية التقليدية بطريقة متطرفة أشد انكماشاً. ولن ننشر ما جاء في الرسالة من أسماء فذاك لا يليق وما شأننا. إنما ثبت فقرات عامة لنطرح سؤالاً: ما هو علاج «الفرقة والخلاف؟» قال:

لقد اندثر التصوف منذ عهد الدولة العباسية، ولم يبق إلا الأثر منه في بعض الجهات الإسلامية - وولدت الطريقة وكان مولدها على يد خلفاء العباسيين فأنشأوا لها شعائر خاصة وحفلات وموالم فأنشأوا وحصل منهم من الغلو ما ليس له مثيل فالبسوا طريقتهم لباسا بالطبول والتصافيق، وكونوا لها صناديق لجمع الأموال داخل الأضرحة والزوايا وبدأت المشيخة تورث من أب إلى ابن شكلها شكل ملوك الطوائف بالأندلس، وأسست لها مديريات ونقابات كما هو الحال اليوم في مصر. هذا بالنسبة للطريقة القديمة، أما اليوم وقد زاحمت هذه الطريقة طريقة جديدة كونت بدورها صناديق لجمع الأموال كما تجمع الأولى بل ترد عليها المساعدات من بعض الدول البترولية فتبني الزوايا وتسميها بمساجد، وهي أبعد من المساجد لأنها محتكرة على فئة منهم بطريقتهم، فلا يسمح لأحد بأن يتكلم فيها إلا إذا كان منسوبا لطريقتهم، هذا من جهة، أما من جهة عبادة الشيوخ فبعضهم يقولون لا يوجد على وجه الأرض أفضل من الشيخ فلان وآخرون نفس الشيء... فهذا هو الشرك بعينه وعلى حقيقته، وهذه هي الصنمية المتلبسة بلباس الطريقة الجديدة فالله يقول: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: 64). أما أوراد الطريقين الجدد فتختلف عن الطريقين بالأمس فقد كان للأولين أوراد من ذكر الله بأسماء الله الحسنى، وبعض السور من القرآن أما أوراد الطريقين هؤلاء هي هتك أعراض المسلمين أمواتا وأحياء وتكفيرهم وتظليلهم فتجدهم داخل زواياهم (التي تسمى بالمساجد) يسبحون ويهللون بالغيبة والنميمة في كل اجتماعاتهم وفي رواحهم وغدوهم لا شغل لهم إلا هذه الأوراد صباح مساء. إن الطريقين بالأمس بالرغم من جهالتهم وبدعهم وضلالتهم تجدهم أسخياء كرماء يطمعون الجائع ويكسون العريان ويقدمون الإسعافات للمنكوبين والمحرومين أما هؤلاء الطريقون الجدد فمن

أخلاقهم العالية - الشح والبخل وتصفية القلوب مما يسمى بالرحمة والعطف وملئها بعبادة الدرهم والدينار ولهم خلوات فيها ألا وهي الأبنك، ففيها يختلون مع ربهم ومعبودهم يناجونه ويذكرونه ويتذكرون فيه.

- أخي لا تعمم في حكمك على الطرفين القدماء ولا الجدد، فلو كان سعي هؤلاء وأولئك يحدوه الإخلاص، ولو كانت وجهة الكل رضى الله ووجه الكريم لانتفت الخرافية وانتفى التعصب. لكن الهوى يعمي بعض المحترفين بالدين والجهلة من أذعياء السنة لإقامة حرب بين تقليد أعمى وثورة على التقليد لا تقل عمى ولا تقليدا. فإننا لله وإنا إليه راجعون.

ومن أخطأنا في الله ع.ص.ل. من مراكش شكوى من نفس المرض مرض التنابز بالألقاب وحرث الخلاف. قال:

لماذا يأتي بعض الدعاة إلى بلادنا ويقتصرون في دعوتهم إلى الإسلام على الخلافات ويحرمون الحلال على المسلمين كفضيلة الشيخ فلان، الذي حرم الذهب على النساء وكبعض أتباعه الذين سمو أنفسهم بالسلف، فإني أعرف مجموعة من هؤلاء لا هم لهم إلا حروف القلقلة وجلسة الاستراحة ويسهرون حتى ساعات متأخرة من الليل في جدال مستميت لعلاج قضية من قبيل هذا مسلم أم كافر أو الصلاة على النبي حرام أم ليست حراما أو ختم الصلاة سرا أو جهرا. أو لم يعلموا أن من واجبهم أن يعلموا شباب المسلمين كيفية القضاء على صور الفساد وبطرق عملية. وأن قائدنا وزعيمنا محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن دعوته ورسالته بالكلام أو بالموعظة أو حروف القلقلة أو تريبيع الأذان أو تنبيه فقط. بل كان جهادا وعملا وحربا ونضالا من أجل شريعة الله وكما نرجوا من الشيخ فلا وأتباعه أن لا ينشروا هذه البدعة الخطيرة التي تسمى باللامذهبية بينما النصيريون والإسماعيليون والدروزيون يشنون حرب إبادة على الإسلام والمسلمين.

- أما حروف القلقلة فلا نوافقك على عيب أهلها فهم أهل القرآن أهل الله. وأما جلسة الاستراحة وما معناها من سنن الصلاة وغير الصلاة فحق لا سبيل لمسه، وأما الإغراق في الخلافات فمرض نرجو الله أن يبرئنا منه لتتصدى لما وصفته من الجهاد.

من أخطأنا في الله الحاج عبد الرحمن م. من إقليم الناظور نداء للعلماء الذين قعدوا عن أداء واجبهم حتى تفتت أمراض الخلاف والفرقة. قال:

قد اطلعنا على مجلتك الداعية إلى الله، ونصرة شريعته والذود عنها ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً، وقال إنني من المسلمين.

قد آن وقت انتصار الحق على الباطل والروحانية على المادة..

وما أحوجنا إلى العلماء مثلك ينصرون دين الله، ويقومون بالواجب الملقى على عاتقهم من تبليغ رسالة ربهم، كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف الخ.

وقد وعد الله المؤمنين بالنصر إذا هم قاموا ودافعوا بأقلامهم وأنفسهم ولسانهم في سبيل نصر الحق، وازهاق الباطل، وقل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً. وقد صدق من قال: الساكت عن الحق، شيطان أخرس. فيا ويل من أعرض عن الله ونصرة شريعته، واتبع الشيطان والهوى، ولم يقبل أن يخضع لما يأمره الله به من تبليغ الرسالة، والدعوة إلى الله وتطبيق كتابه وسنة رسوله، والإعراض عن القوانين الوضعية التي ما أنزل الله بها من سلطان، قوانين الشيطان وأهل الطاغوت، (بلغوا عني ولو آية).

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾

(الحديد:16) أوليس من الواجب على العلماء أن يتحدوا ويرفعوا أصواتهم ضد الظلم والطغيان؟ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم الحق بغيا بينهم حسدا بينهم . أين علماء القرويين الذي كانوا دائما بالماضي يجهرون بالحق؟ أين الصالحون؟ والمصلحون؟ وأين المؤمنون وأين الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؟

من الأخ عبد الله ك. رسالة في الذوق الصوفي ليس هنا مجال لنشرها. فنحن لا نحب الخلاف ولا بواعثه ونسعى لإخماد ناره لا لإثارتها. فشكرا لك.

من الأخ محمد هـ. س. القنيطرة رسالة في ذم الخمر ومفاسدها نشكره عليها. وهي محاولة طيبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إعلان من الجماعة

كتب إلينا الأخ ر.م. من طنجة الرسالة التالية:

إلى الأستاذ عبد السلام ياسين -مراكش-

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد:

إن السيد بالعباس التمساني القاطن بمدينة طنجة يقول بأنه يمثل مجلة الجماعة، فنود منكم أن تفيدونا في صحة هذا الأمر. ولكم جزيل الشكر والسلام.

ر.م. من طنجة

- إن الشخص الذي تسألنا عنه كان زارنا منذ شهر. ونشرنا في العدد الثاني من مجلة «الجماعة» رسالة كتبها في باب «لقاء». وما علمنا من الشخص المذكور إلا ما احتوت عليه رسالته وما رأيناه منه مدة زيارته لنا.

ثم بدا لنا من جهته اضطراب ووصلتنا معلومات تؤكد ما وقفنا عليه بأنفسنا.

يدعي الأخ المذكور أنه ممثل «الجماعة» فما كلفناه بذلك.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

حوار

بلغني أن دكاترة شيوعيين شغفوا أيما شغف بالقومة الإسلامية وأن عامة الطلبة المضللين يبدون احتراما جديدا للإسلام منذ استولى فيها الإسلام وقوة الإسلام وفاعليته على الضمير الإنساني في العالم.

نقول للدكاترة الذين أخذوا يتيقظون وللطلبة الذين أخذوا يتحدثون عن الإسلام باحترام: هذه ظاهرة إيجابية نفرح لها منكم لكي تشجعوا قليلا وارموا عنكم الأحكام المسبقة التي ركزها في ذهنكم الاستعمار وأذنا به وغزاة الإسلام من المستشرقين وتلامذتهم. لا تحكموا على الإسلام من خلال تطبيقات المتستريين تحت شعارات الإسلام المحرفين للكلم عن مواضعه. لا تحسبوا أن ذلك «الفقه» المتزمت السائر في ركاب الحكم يمثل شيئا غير النموذج الفاسد للمحترف بالدين.

إننا نرغب في فتح حوار معكم. فهاكم رسالة من أحد علمائنا بالجنوب. اقرأوا بين السطور لتطلعوا على حساسية الإسلاميين وغربتكم أنتم عن الذهنية الإسلامية كما تعبر عنها الرسالة. ثم تأملوا الرفض الجذري من جانب المثقفين الإسلاميين للغة خطابكم والقيم والتصورات السائدة عندهم. ثم انظروا بعد الرفض إلى إمكانية التفتح والحوار الذي يؤول بكم إن شاء الله لمراجعة أنفسكم والتوبة إلى ربكم. فما تنتظر منكم

أقل من هذا. وإلا فالإسلام بعد أن تسري الحياة في كافة جسمه سيلفظكم مع التبعية السياسية والثقافية للاستعمار وحضارته.

قرأ الفقيه رسالة الأستاذ اليساري المنشورة في العدد الثالث من «الجماعة». وهذا رده:

حضرة الأستاذ السيد عبد السلام ياسين المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فقد قرأت في مجلتكم «الجماعة» تحت عنوان «الإسلام الوراثي».

قرأت رسالة (للأستاذ) م.ل. ففي أثناء القراءة وقبل أن أصل جوابكم قلت في نفسي: لماذا يلطخ الأستاذ ياسين مجلة «الجماعة» بكلام (الأستاذ) م.ل. وكله نجس بفتح الجيم، ولماذا يلوم (الأستاذ) م.ل. من رماه بالكفر وهو يصرح به؟ أليس من الكفر الصراح بل المتن تشبيه حياة الرسول وحياة الخلفاء هي نماذج.. كمنادج.. عند الهنود والصين وأوروبا وأن دينه الحقيقي هو الوطن،... وهو مسلم بالوراثة... الدين: من عوامل التفسخ... تسمية الاجتماع لذكر الله شطحا... احترام وتعظيم الرسول صلوات الله عليه عبادة وتأله... مساواة البونيقية والزنجية ولم يتبين لي أنك على صواب في نشرها في «الجماعة»، حتى قرأت ردك عليها فعلمت أنك الطبيب الماهر الذي يصبر على أذى المختلين عقليا في عدم شعورهم بخروج الفضلات الحسية والمعنوية كما أننا تأكدنا من رسالة (الأستاذ) م.ل. من استفحال انتشار الأفكار الهدامة حتى في الأساتذة المفروض فيهم تكوين الأجيال، فيا أسفا على (أستاذ) لم يتضح عنده علاقة الإسلام بالمغرب، فالأولاد الصغار في الأقسام التحضيرية يعلمون أن المغرب لم تقم له قائمة كدولة محترمة في جميع أصقاع العالم إلا بالإسلام. إن جهادك يا عبد السلام يس أنجع وأعظم - في نظري - من الجهاد بالسيف وإراقة الدماء أعانك الله

وحفظك ووفقك وأصلح بك وعلى يديك والسلام.

المسلمون أمة واحدة

كتبت مجلة «يسارية» تصدر في فرنسا في موضوع الحركة الإسلامية بالمغرب العربي وذكرت فيما ذكرت أن صاحب مجلة «الجماعة» بعد أن أطلق سراحه واشترط عليه أن يتكلم ويعمل جهرة.

وكان صاحب المجلة يشير إلى أن هناك تواطؤًا بيننا وبين الجهات الرسمية.

وليس هذا الالتواء في التغيير وهذا التغميض في الكلام هما الأسلوبان الوحيدان المستعملان لإثارة الشكوك ونسف الثقة بين المسلمين.

لهجت وسائل الإعلام الغربية - ومنها المجلة الرأسمالية اليسارية المذكورة - منذ سنة بالإسلام وقومته ونهضته. واستغلت الموضوع استغلالًا تجاريًا لما تلقاه أخبار الإسلام من رواج.

بسم الله الرحمن الرحيم

منبر المؤمنات

من الأخت خ.ع. من طنجة هذه الرسالة التي لا تحتاج لتعليق.

من الأنسة خ.ع. من طنجة إلى الأخ الكريم الأستاذ عبد السلام ياسين. فيسعدني تمام السعادة أن أكتب إليكم وللمرة الأولى في مجلتكم الغراء «الجماعة» هذه المجلة التي فتحت لي باب الأمل من جديد وأضاءت لي طريق بفضل الله ورحمته، وقد كنت قبل هذه البادرة بين الإقدام والإحجام لو لا التشجيع الذي وجدته في هذه المجلة ومن خلال ركن منبر المؤمنات حيث وجدت المرأة المسلمة المجال لطرح الأفكار والمناقشة مع أخواتها المسلمات مما يعود عليهن وعلى الأمة الإسلامية إن شاء الله بالخير والعزة والكرامة. فقد وجدنا في هذه «الجماعة» خير وسيلة وجمع القوة والاتحاد من أجل نشر الدعوة إلى الله، وإعلاء راية الإسلام خفاقة بعد أن أسقطت وأهينت وديس عليها بالأقدام. نعم وقع كل هذا بسبب تفريطنا في ديننا وعقيدتنا السمحاء وجرينا وراء التفاهة والوقاحة التي نودي بها باسم التقدم والحضارة، فماذا كسبنا: مذلة واستهانة بقيمنا ومثلنا العليا واستعباد الغرب لنا ونحن نحسب أننا بلغنا الذروة من التقدم والازدهار، واليوم والحمد لله وبعد أن بدأ المسلمون يستفيقون من غفوتهم ما علينا إلا أن نجتمع صفوفنا ونوحد

كلمتنا حتى لا يجد المغرضون طريقاً لنفث سموم التفرقة بيننا، وعلينا أن نقتدي بإخواننا الأبطال في إيران، فلا التعذيب هد عزيمتهم ولا دبابات الشاه كفرت اتجاههم، فتحية إليهم وتحية إلى قائدهم الكبير الخميني زاده الله نصرنا على نصر وأطال عمره حتى يوسع رقعة الإسلام.

ختاماً أخي الكريم أبعث عبر الجماعة تحياتي وتأييدي للسيدة ل.ع. من سطات، وأرفع كامل تأييدي لكم وشباب الإسلام كله معكم، فسيروا وفقكم الله ونصركم إلى أن يتحقق إسلام الغد والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ومن الأختين فاطمة ج. ونفيسة م. من البيضاء تطلبان التعرف على أخواتهن الإسلاميات.

الله أكبر، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله أفضل الداعين إليه على بصيرة، والمجاهدين فيه بإحسان وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين. أما بعد:

إلى حضرت الأب الكريم: سلام تام و متمنيات حارة بالتوفيق في جهادكم للدعوة. لقد قررنا بمشيئة الله المشاركة في باب «منبر المؤمنات» وذلك قصد الالتقاء بالأخوات المهادفات لنشر الدعوة إلى الله تعالى ونود من حضرتكم تدبير هذا اللقاء عن طريق المراسلة وهذه عناويننا:

اللهم وفقنا لما تحبه وترضاه، وارزقنا نعمة الإخلاص، وقنا شر أنفسنا.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 286).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

طلبكما أيتها الأختان ينم عن رغبتكما في مشاركة أخواتكن المؤمنات همكن وعبء الدعوة في صفوفكن. لكننا نعلمكن ما وراء نشر العناوين -خاصة في هذه الفترة- من مفاصد ومخاوف لا نأمن شر الأشرار فلتكفكن لقاءات من حولكن وإن لباسكن اللباس الشرعي كاف ليدل عليكن الأوباش من الجهلة الذين وظفتهم الحكومة في مدارسنا لاضطهادكن ومحاربة الإسلام من خلالكن. فكم من هؤلاء الجهلة الملاحدة من يطرد الفتيات المؤمنات للباسهن ويشجعون بلا حشمة المتبرجات المتحديات بتشجيع «رجال التعليم» المدسوسين في هذه الأمة الدخلاء عليها كل القيم الأخلاقية زيادة على تحديهم وتحديهن الله ورسوله. اللهم نشهدك. فاصبرا واصبرن يا أيتها المؤمنات على كيد العدو. والزمن شعار التقوى وتدثرن بدثار الإيمان وقرآن ما أنزل الله لكن في كتابه وسنة نبيه من آيات وحكمة: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 139). يا أيتها الحكومة! ضيعت الإسلام! يا آباء التلاميذ في جمعياتهم! لم تشتكون عن إهانة الفضيلة في فلذات أكبادكم!

ومن الأخ «أبي عائذ» من الرباط رسالة نقتطف منها ما يلي:

من الأيام الأخيرة سمعنا عن بعض الشباب العاملين في الخارج أو الدارسين فيه أنهم أرادوا تهيبء جواز السفر لأهلهم أو لبعض قريباتهم اللاتي تحتم الظروف خروجهن مع أهليهن للإقامة في الخارج، فمن أب لابنته إلى زوج لزوجته إلى غير ذلك.

ومما يطلب لتهيبء جواز السفر هذا -كما هو معلوم- إحضار بعض الصور. والصورة في حد ذاتها لا يخفى على الشباب المسلم أحكام الفقهاء

وذي الرأي السديد فيها، إلا أنهم كادوا يجمعون على ارتفاع الحظر أو الكراهية في مثل هذه الظروف التي نقول عنها تجاوزا ظروف قاهرة أو أنها «ضرورة».

لكن إن كانت الصورة ضرورة في هذه الحال، فما وجه الضرورة في أن تكشف المرأة عن شعرها وتتبرج للمصور ولمشاهد الصور في الجمارك أو غيرها! هذا ما ألحت عليه الإدارة في بعض المدن في مغربنا المسلم!

وبقطع النظر في السخرية والاستهزاء ودوس القداسة الإسلامية مما لا يليق بغير المسلم أن ينتهكه فكيف بمن ينتسب إلى هذا الدين ويقول أنه مسلم!

بقطع النظر عن كل ما أصيبت به إدارتنا المحترمة من أمراض مهلكة لبناء الفرد والمجتمع السعيدين مما لا يخفى على ذوي الألباب، فإن التعليلات التي يعللون بها والأسباب التي يسببون بها وجوب كشف الشعر لا متانة لقواعدها ولا أصل لفرضيتها، هذا علاوة على أنه لا مراعاة فيها لشرع الله الذي نص عليه تعالى في قرآنه الكريم في غير ما موضع، وأخص بالذكر شرط الآية الكريمة الذي يقول: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (النور: 31). خصصتها بالذكر لأن أصحابنا في الإدارة أصرروا على وجوب كشف الأذنين أو الأذن الواحدة على الأقل حتى تكون الصورة موافقة في وضعها وشكلها لما تنص عليه قوانينهم الوضعية التي لا يخفى على ذوي العقول مصدرها ووحيتها!

ويكاد المفسرون يجمعون على أن المراد بالزينة السالفة الذكر هو محل الزينة نفسه لا الزينة عينها، إذ أن الزينة منفصلة عن محلها لا أثر لها في النفس ولا خوف من فتنتها. ومن أحدث في هذا الأمر ما ليس منه من آراء ونظريات، وما أكثر الآراء والنظريات التابعة للأهواء والشهوات في عصرنا

المظلم الذي نجهل فيه تمام الجهل معنى الآية الكريمة التي تقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب: 36) ، نجهل معناها لأننا نتشدد بالإيمان ونقول: إنا مؤمنون بالله ورسوله، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (النور: 51) وليس المؤمن من يقدم بين يدي الله ورسوله ويقترح على الله ورسوله. أقول أنه من أحدث في هذا الأمر ما ليس منه فهو عليه رد.

وأقول لأصحاب الإدارة، كبيرهم وصغيرهم، كفاكم سخرية وعبثا بالدين الذي لولاه ما كان لكم ولا لأبائكم ذكر في التاريخ، وما كانت لكم حضارة ولا شخصية. كفاكم تهديدات ومضايقات فإنكم أنفسكم أبناء هذا الدين تقولون: «لا إله إلا الله»، فتعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نفهم لا إله إلا الله ونعمل على تحقيق منهجها في حياتنا وإلا فما تزيدنا تهديداتكم ومضايقاتكم وظلمكم وفجوركم إلا إيانا بعتيدتنا وانتصارا لها ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ (آل عمران: 173). وخلوا عنكم المهازل والتناقضات فإن الدستور في المغرب ينص في أول بند من بنوده على أن المغرب دولة دينها الإسلام. فإن رضيتم لبناتكم التبرج والعري فلا تكرهوا فتيات الشعب المغربي المسلم على التبرج والتبذل ﴿وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور: 31).

والله أكبر والله الحمد

- سمع الله شهادتك يا أخي، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر: 22).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

رسالة

في المنهاج النبوي

الإرادة إما هوى يتبع الشيطان فالعقل المهتدي بهوى إمامه عدو حذرنا الله منه، مساره في الدنيا إلى الخراب الخلقي والمادي، وفي الآخرة إلى النار.

وإما عزيمة إيمانية على اتباع أوامر الله المقتضية لقهر الهوى وعصيان الشيطان فالعقل المدعم لها المستنير بإشراقها يفضي به الصراط المستقيم في الدنيا إلى إقامة العدل وفي الآخرة إلى الجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ (النور: 21) والفحشاء والمنكر خراب في الدنيا وخسران في الآخرة.

ثم قال عز من قائل: ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: 21)، فهذه هي النفس حين تزكو بالإيمان من رحمة الله وتقطع حبال الخبيث الشيطان.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به». فما جاء به الحبيب المصطفى هو ما سميناه

النقل من كتاب وسنة وأثر، والعقل أداة تلقيه بالرضى والخدمة إن كان الهوى المسخر للعقل مضبوطاً بأحكام الشرع تابعا خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فالأمر سير إما إلى الخسران والنار إذا كان الهوى هو القائد أو إلى خير الدنيا والآخرة إن قمع الهوى وحل في مركز القيادة إرادة وجهتها الله ورائدها كتاب الله وحاديها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حياة الفرد في الدنيا سير وحياة الجماعات والمجتمعات والموت نقطة انتقال إلى إحدى داري السعادة أو الشقاء الأبديتين. لكن المصير بعد الموت مصير أفراد والمسؤولية يوم القيامة عن السير في الدنيا واتجاهه ومحصول الأعمال أثناءه مسؤولية أفراد.

المجتمعات ككل لا تلقى في الآخرة مصيرا جماعيا للاختلاف الممكن بين أفرادها، يكون منهم الصالحون والطالحون، الظالمون المرتدون المحشورون إلى جهنم والمظلومون - إن كانوا على هدى ولم ينحرفوا مع الفتنة - المحشورون إلى جنة النعيم.

لكن هذه المجتمعات لها سير دنيوي مشترك بين كل أفرادها ومصير دنيوي يرتبط فيه الحاكم والمحكوم، الغني والفقير، المتضامنون على ظلم من دونهم واستغلالهم والمتحملون في تضامن البؤس لذلك القهر الطبقي.

وفي الآخرة يكون مصير الظلمة أحلك، فالظلم ظلمات يوم القيامة كلما كان موقفهم أعتى وتجبرهم على الخلق أكبر.

لكن ذلك المصير أمره إلى الله، ولا يبرر بوجه أن يستقيل المؤمنون من واجب إيقاف مسيرة الطغيان والأخذ بضبع الظلمة فهذا واجب بل ركن من أركان الإسلام: ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الشريعة والمنهاج جاء بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مزيد ولا اختراع. لكن السير عليهما - سير الأفراد والمجتمعات - ليس عملية بين العقل القابل والنقل المقبول خارج التاريخ، بل هو قبل كل شيء إرادة عازمة وجهاد.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

فهرست

الموضوع:	الصفحة
الافتتاح.....	3
العقل والنقل (2).....	17
منبر الوعظ.....	54
أين رابطة العلماء (تتمة).....	60
نحن معكم.....	69
شوكة الإسلام (تتمة).....	73
لقاء.....	98
ندي الطلبة.....	104
بريد القراء.....	117
حوار.....	124
منبر المؤمنات.....	127
رسالة.....	132

